الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة ابن خلدون – تيارت

كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية

قسم العلوم الإنسانية (تاريخ)

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في تاريخ المغرب العربي المعاصر

موسومة ب:

العلاقات الجزائرية المغاربية (1830م-1850م)

المغرب وتونس أنموذجا

إعداد الطالبات :

- ✓ بوعزة ليندة
- ✓ بن عوالي إبتسام
- ✓ باية أسماء

إشراف : الدكتور

خنفار الحبيب

الاسم واللقب	الرتبة	الصفة
د- حمري ليلى **د-** خنفار الحبيب **أ.د-**كلاخي ياقوت	أستاذ محاضر أ أستاذ محاضر ب أستاذ التعليم العالي	رئيسا مشرفا ومقررا مناقشا

السنة الجامعية :

2021–2022م/1443-1444هـ

شكر وعرفان

عملا بقوله تعالى (لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ)

اللهم إننا نشكرك شكر الشاكرين ونحمدك حمد الحامدين

فالحمد لله والشكر لله العلي القدير الذي ألهمنا الصبر وأعاننا على إنجاز هذه المذكرة المتواضعة

كما نتقدم بأسمى عبارات الشكر والتقدير للأستاذ المحترم الذي أشرف على إعداد هذه المذكرة خنفار الحبيب

على إرشاداته وتوجيهاته وانتقاداته التي ساعدتنا على إنجاز هذا العمل المتواضع

وفي الأخير نشكر كل من ساعدنا في إنجاز هذا العمل من قريب أو من بعيد

إهـــداء

أهدي ثمرة جهدي هذا...

إلى من قال فيهما الرحمان {وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّـاه وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً}

إلى من يدفعني قدما نحو الأمام لنيل المبتغى. إلى من سهر على تعليمي

إلى سندي في هذه الحياة. إلى من رفعت رأسي افتخارا به

أبي الغالي أدامك الله لي

إلى التي حملتني وهنا على وهن وسهرت الليالي من أجلي

إلى مدرستي الأولى في هذه الحياة ومن كان دعائها سر نجاحي

أمي الغالية أدامك الله لي

إلى من قاسموني دفئ العائلة إخوتي الكرام: حنان. إيمان. نبيل. عبد الجواد. وفاء

حفظهم الله ورعاهم

إلى من كاد أن يكون رسولا. إلى أساتذتي الأفاضل من المدرسة الابتدائية حتى الجامعة

إلى من سقوا بدمائهم هذه الأرض المباركة

إلى من أشعل لهيب الثورة وأضاء سماء الجزائر بعد ليل طويل

شهدائنا الابرار رحمة الله عليهم

أسمـــاء

إهـــداء

أهدي ثمرة جهدي هذا...
إلى شهداء الوطن الحبيب
إلى من تعب وضحى من أجلي، إلى من علمني الصبر والثبات وحب الخير
أبي العزيز حفظه الله
إلى التي سهرت الليالي من أجل راحتي وأضاءت لي الدرب بدعائها
أمي العزيزة حفظها الله
إلى من تساندني وتدعمني دوما وتدفعني للسير نحو الأمام
أختي الحبيبة ليندة
إلى الكتاكيت الصغار: هشام نور إسلام، وأسامة عبد المجيد
حفظهم الله ورعاهم

إبتسام

إهـــــداء

ما أجمل أن يجود المرء بأغلى ما لديه و الأجمل أن يهدي الغالي للأغلى

هذه ثمرة جهدي أجنيها اليوم هي هدية أهديها إلى من كان له الفضل العظيم

أهدي هذه المذكرة إلى من قال فيهما الحق تعالى

{ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا}

إلى أعز الناس وأقربهم إلى قلبي والدتي العظيمة حفظها الله التي كان لها دور كبير في حياتي ولدعائها المبارك الأثر في تسيير سفينة البحث حتى ترسوا على هذه الصورة

إلى عائلتي الكريمة أختي وجميع أخواتي وجميع من ساندني وخطى معي خطواتي ويسر لي الصعاب . إلى أخي الفاضل أمين بوعزة الذي كان له الفضل في وقوفي في هذا المكان

إلى زهرتي وفلذة كبدي سارة بن عبد المؤمن التي رافقتني في مساري الدراسي الجامعي وكانت الأخت قبل الصديقة

إلى جميع أساتذتي دون استثناء وأهل الفضل على الذي غمروني بالحب والتقدير والنصيحة

إلى كل هؤلاء أهديكم هذا العمل المتواضع سائلة الله العلي القدير أن ينفعنا به ويمدنا بتوفيقه

لينـــــدة

مقدمة

اختصت الجزائر وتونس والمغرب الأقصى برقعة جغرافية جد استراتيجية جعلتها تؤثر وتتأثر بجميع التطورات الحاصلة في العلاقات الدولية على مر العصور التاريخية، ومع بداية القرن التاسع عشر تصاعدت الأطماع الاستعمارية ضد الأقطار الثلاث، ونظرا لحالة التردي والتفكك داخل الكيانات السياسية المتحكمة في الأقطار الثلاث سقطت تحت الهيمنة الاستعمارية حيث تم احتلال الجزائر في1830م.

ارتبط سكان الجزائر مع المغرب الأقصى وتونس بعلاقات سياسية واجتماعية وثقافية واقتصادية على مر العصور التاريخية، وقد امتازت هذه العلاقات خلال كل فترة تاريخية بخصوصيات مختلفة،

أهمية الموضوع:

تكمن أهمية الموضوع في الكشف عن طبيعة العلاقة بين الجزائريين وجيرانهم المغاربة والتونسيين خلال الفترة التاريخية (1830-1850) أي في فترة بداية الاستعمار الفرنسي للجزائر، والكشف عن عمق وتأصل الاتجاه المغاربي لدى الجزائريين في نضالهم ضد الاستعمار، وعليه فإن ابراز تلك الجوانب من تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر سيمكننا من معرفة أشكال التضامن التي أبداها التونسيين والمغاربة اتجاه الجزائريين الذين كانوا يعانون من الاحتلال الفرنسي الذي ضرب البنية السياسية، العسكرية، الاقتصادية، الاجتماعية والدينية، وهذا ما سنحاول الكشف عنه من خلال موضوع دراستنا المعنون ب :"**العلاقات الجزائرية المغاربية من (1830-1850) تونس**

والمغرب أنموذجا".

دواعي اختيار الموضوع:

اختيارنا لموضوع " العلاقات الجزائرية المغاربية 1830-1850 المغرب وتونس أنموذجا " كان نتيجة لعدة عوامل أهمها:

-أسباب ذاتية:

-اهتمامنا بدراسة التاريخ المعاصر لدول المغرب العربي بصفة عامة، وبطبيعة العلاقات التي كانت بين هذه الدول على وجه الخصوص.

-زادت رغبتنا في اختيار هذا الموضوع من خلال البحوث التي تطرقنا إليها في مشوارنا الجامعي والتي تتحدث عن العلاقات بين الجزائر والمغرب والعلاقات بين الجزائر وتونس، كما لاحظنا عدم احتواء مكتبة جامعة ابن خلدون على موضوع يتحدث عن العلاقات الجزائرية المغربية في فترة ما بين (1830م-1850م).

-أسباب موضوعية:

-وجود علاقات سياسية واقتصادية قوية ونشيطة بين الجزائر مع المغرب وتونس بحكم علاقة الجوار.

-وجود علاقات ثقافية وترابط اجتماعي قوي بين البلدان الثلاثة-الجزائر، المغرب، تونس- وذلك بحكم الانتماء إلى الحضارة الاسلامية.

-إن هذا الموضوع يشكل أهمية قصوى في تاريخ الجزائر المعاصر لأن هذه الفترة شكلت منعرجا حاسما في تاريخ الجزائر.

طرح الاشكالية

على ضوء ما تم ذكره نستنتج أن هذا الموضوع يطرح تساؤلات عدة سنحاول إيجازها في الإشكالية الرئيسية التالية " **ما هي طبيعة العلاقات الجزائرية مع المغرب وتونس خلال الفترة الممتدة من سنة 1830م إلى غاية 1850م؟** ويمكن تقسيم هذه الاشكالية إلى تساؤلات فرعية سنحاول الاجابة عنها في هذه الدراسة:

كيف كان الوضع العام في إيالة الجزائر قبل الاحتلال الفرنسي لها؟

كيف كان الوضع العام في كل من المغرب وتونس؟

ماهي طبيعة العلاقات السياسية الجزائرية مع المغرب وتونس في بداية الاحتلال الفرنسي للجزائر؟

كيف أثرت المقاومات الشعبية على تلك العلاقات الموجودة بين الجزائريين وإخوانهم المغاربة والتونسيين؟ .

ما هي طبيعة العلاقات الاقتصادية والاجتماعية الجزائرية مع المغرب وتونس في هذه الفترة؟ .

خطة البحث:

ولدراسة هذا الموضوع من جميع الجوانب وضح خطة بحث تطرقنا في الفصل الأول إلى الوضع العام السياسي والاقتصادي والاجتماعي في كل من الجزائر والمغرب وتونس قبل سنة 1830م أي في فترة وجود الحكم العثماني في كل من الجزائر وتونس وفترة حكم السعديين والعلويين في المغرب الأقصى.

أما الفصل الثاني فقد خصصناه لطبيعة العلاقات بين الجزائر وبين المغرب خلال الفترة الممتدة من 1830 إلى غاية 1850 تطرقنا فيه إلى طبيعة العلاقات السياسية من حيث دعم السلطان عبد الرحمان لمقاومة الامير عبد القادر والمراسلات التي كانت بين الأمير عبد القادر والسلطان المغربي المولى عبد الرحمان، ثم تطرقنا إلى تراجع دعم السلطان للأمير عبد القادر بسبب الضغط الفرنسي على المغرب، كما عالجنا أيضا العلاقات الاقتصادية بين البلدين من حيث المبادلات التجارية

و الطرق والمواصلات وطبيعة العلاقات الاجتماعية بين البلدين من حيث البعثات العلمية

وهجرة الجزائريين إلى المغرب.

أما الفصل الثالث فقد خصصناه لطبيعة العلاقات بين الجزائر وبين تونس في الفترة الممتدة من 1830إلى غاية 1850 تطرقنا فيه إلى طبيعة العلاقات السياسية بين البلدين والذي عالجنا فيه موقف تونس من الاحتلال الفرنسي للجزائر وموقفها من المقاومة الشعبية الجزائرية لهذا الاحتلال ، وطبيعة العلاقات الاقتصادية بين البلدين من حيث الصادرات والواردات والمبادلات والطرق التجارية، كما تطرقنا أيضا إلى طبيعة العلاقات الاجتماعية والثقافية بين البلدين والتي توطدت بسبب القبائل والمصاهرة والهجرة والصلات بين الطرق الصوفية في الجزائر وتونس.

مناهج البحث:

فرضت طبيعة البحث اعتماد العديد من مناهج البحث في دراسة هذا الموضوع، فنظرا للمسار التاريخي لعلاقات الجزائريين بالمغرب الأقصى وتونس فقد اعتمدنا على المنهج التاريخي الوصفي في سرد الأحداث وترتيبها وفق تسلسلها الزمني، كما وظفنا آلية المقارنة قصد تبيان طبيعة العلاقات بين الجزائر والمغرب الأقصى والعلاقات بين الجزائر وتونس.

أهم المصادر والمراجع المعتمدة:

أ-المصادر:

-كتاب تحفة الزائر لمؤلفه محمد بن عبد القادر، وكتاب حياة الأمير عبد القادر لمؤلفه شارل هنري تشرشل الذي تطرق إلى العلاقات السياسية بين الجزائر والمغرب خاصة ما كتب على مقاومة الأمير عبد القادر وعلاقته بالسلطان المغربي عبد الرحمان الذي كان له الجزء الأكبر في التأثير على سيرورة هذه أحداث هذه العلاقات التي تراوحت بين الود والمساعدة تارة وبين التوتر والقطيعة تارة أخرى.

-كتاب الجزائر في عهد رياس البحر لمؤلفه وليام سبنسر وجاءت أهمية هذا الكتاب من خلال تبيان العلاقات السياسية للإيالة الجزائرية وبعض علاقاتها لاسيما السياسية مع تونس في العهد العثماني.

ب- المراجع:

-كتاب المغرب العربي والدولة العثمانية لمؤلفه عبد المنعم الجميعي الذي أفادنا في الاطلاع على الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية في كل من الجزائر وتونس والمغرب في عهد الدولة العثمانية.

-كتاب نهاية الحكم العثماني في الجزائر وعوامل انهياره 1800-1830م لمؤلفه أزرقي شويتام الذي أفادنا في التعرف على أوضاع الجزائر السياسية، الاقتصادية، الاجتماعية والثقافية في أواخر الحكم العثماني بالجزائر.

-كتاب علاقات بايلك الشرق الجزائري بتونس في أواخر العهد العثماني والدايات لمؤلفه عمراوي حميدة وقد استفدنا من هذا المؤلف في تحديد طبيعة العلاقة بين تونس والجزائر والكشف عن مظاهر تلك العلاقة على كافة الأصعدة بداية بالجانب السياسي وموقف بايات تونس من الحملة ثم دور الحركة التجارية والاقتصادية في تفعيل العلاقات.

-كتاب تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية لمؤلفه يحي بوعزيز، وكتاب الاهتمام الفرنسي بالصحراء-طريق القوافل- لمؤلفه ابراهيم مياسي، كتاب العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية بين الجزائر والمغرب لمؤلفه عمار بن خروف حيث أفادتنا هذه المراجع في إحصاء المسالك والطرق التجارية وكذا معرفة نوع المبادلات التجارية بين البلدين مع ذكر المشاكل التي كانت تتعرض لها القوافل المغربية والجزائرية.

-كتاب الجزائريون في المغرب ما بين سنتي (1830-1962) لمؤلفه محمد أمطاط، وكتاب الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى لأبو العباس أحمد بن خالد الناصري، أفادتنا هذه المراجع في طبيعة العلاقات الاجتماعية بين الجزائر والمغرب ودور الهجرة في دمج المجتمعين بالإضافة إلى اسهامات سلطان المغرب الأقصى وشعبه في احتضان المهاجرين الجزائريين إليها هروبا من سياسة المستعمر الفرنسي.

الصعوبات:

أما فيما يخص الصعوبات التي واجهتنا في إعداد هذا البحث أغلبها ذات طابع روتيني تعتري كل باحث أكاديمي في حقل الدراسات التاريخية ، نذكر البعض منها:

-صعوبة ترجمة المصادر الفرنسية للغة العربية خاصة من ناحية ضبط المعنى الحقيقي لما أراد المؤرخ الأجنبي ايصاله في سرد الحادثة التاريخية خاصة اثناء الاستعانة بالمترجم الالكتروني.

-تضارب في التواريخ والمعلومات في العديد من المصادر.

-صعوبة التحكم في المادة العلمية نظرا لغزارة أحداثها بالإضافة لطول فترة الدراسة التي تمتد من 1830إلى غاية 1850و ثرائها بالأحداث المختلفة.

الخاتمة: في الخاتمة تطرقنا لذكر النتائج المستخلصة من دراسة أهم ما طرئ من متغيرات على العلاقات الجزائرية المغاربية خلال الفترة الممتدة من 1830 م الى1850 م.

مدخل

الوضع العام في البلدان الثلاثة قبل سنة 1830م

تمهيد:

إن الدارس لتاريخ أقطار المغرب العربي الحديث (الجزائر- تونس- المغرب الأقصى)، يقف عند جملة من التطورات التي عرفتها هذه الأخيرة في هذه الفترة من الزمن سواءا من الناحية السياسية، الاقتصادية، الاجتماعية والثقافية والأثر الذي لعبته في تحديد مسار العلاقات بين هذه البلدان الثلاثة في هذه الفترة وحتى في فترة الاستعمار الفرنسي للجزائر، فمن الناحية السياسية كانت الجزائر وتونس تابعتين للدولة العثمانية، أما المغرب الأقصى فكان تحت حكم الأسرة السعدية ثم تحت حكم الأسرة العلوية، أما من الناحية الاقتصادية فكانت الزراعة هي مصدر العيش للسكان، ومن هنا قبل أن نتطرق إلى العلاقات بين البلدان الثلاثة لا بد من الاشارة إلى الأوضاع العامة التي مرت بها هاته البلدان، وهذا ما سنوضحه في دراستنا من خلال ثلاثة مباحث هي كالتالي:

المبحث الأول: الوضع العام في إيالة الجزائر.

المبحث الثاني: الوضع العام في المغرب الأقصى.

المبحث الثالث: الوضع العام في إيالة تونس.

المبحث الأول : الوضع العام في إيالة الجزائر قبل 1830

كانت الجزائر قبل سنة 1830م إيالة عثمانية، مر حكم الأتراك في الجزائر على أربعة أنواع من الأنظمة بدأت بحكم البايلرباي ثم حكم الباشوات ثم حكم الأغوات وأخيرا حكم الدايات، وعرف كل نظام من هذه الأنظمة ميزة خاصة به، كما شهدت الجزائر في هذه الفترة تغييرات على المستوى الاقتصادي والاجتماعي والثقافي.

المطلب الأول : الوضع السياسي في إيالة الجزائر

بعد سقوط غرناطة 1492م انتهى الوجود الإسلامي في إسبانيا ، وفي البحر الأبيض المتوسط ازدادت عمليات القرصنة الأوروبية وضرب المسلمين في عرض البحر مما أدى إلى صدام المسيحين الغزاة بالعثمانيين الذين كانوا يمثلون الإسلام أنداك، ومن هنا بدأت ملامح العلاقات العثمانية بالجزائر بعد غزوات الإسبان المتكررة على السواحل ظهر عروج من أجل الدفاع عنها وإنقاذ المسلمين من سيطرتهم حتى وفاته سنة 1518، وتسلم أخوه خير الدين الحكم بعده ، وقام بالدخول تحت طاعة السلطان العثماني سليم الأول لمساعدته ، وبذلك انضمت الجزائر تحت الحكم العثماني ، ونظم خير الدين الجزائر تنظيما جيدا ، استمر حتى سقوط العاصمة بيد الفرنسيين 1830.

قام السلطان سليم الأول بإرسال نحو (2000)جندي مسلح بالبنادق وعدد من رجال المدفعية ، وفتح باب التطوع للراغبين من أهالي الأناضول في الذهاب إلى الجزائر ،[1] وقسمت البلاد من الناحية الإدارية في العهد العثماني ابتداءا من عام 1565 إلى أربعة أقاليم وهي :

دار السلطان: وتضم الجزائر العاصمة وضواحيها وهي خاضعة مباشرة لسلطة الحاكم.

بايلك[2]التيطري: عاصمته المدية.

بايلك الشرق: عاصمته قسنطينة.

بايلك الغرب: عاصمته مازونة ثم معسكر وانتقلت إلى وهران بعد تحريرها من الإسبان سنة1792م

و كان الحاكم يعين على رأس كل إقليم " بايا" وكانت سلطة هؤلاء البايات مطلقة في تسيير شؤون أقاليمهم والإشراف على القوات العسكرية وجمع الضرائب .[3]

---

[1] بابة عائشة ، الأوضاع السياسية في الجزائر في العهد العثماني (1519-1830)، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية ، جامعة الجزائر 2 ، المجلد 8 ، العدد4، جانفي ، 2017، ص 343.

[2] بايلك مشكل من مقطعين "بيك" و"لك" فأما بيك هو لقب أبناء السلاطين الحائزين على لقب الباشوية، ثم استعمل لقبا لمعظم كبار القادة والموظفين الذين يكلفون بإدارة الولايات وقد اعتمده العثمانيون كلقب لحاكم الولاية أو المقاطعة، ينظر : فارس كعوان، المصطلحات الإدارية العثمانية في الجزائر، مدارات دولية، جامعة محمد لمين دباغين، سطيف 2، المجلد 01، 2019.

[3] أرزقي شويتام، نهاية الحكم العثماني في الجزائر وعوامل انهياره 1800-1830م، ط 1 ، دار الكتاب العربي للنشر والتوزيع ، 2011، ص 16.

ومر حكم الأتراك في الجزائر على أربعة أنواع من الأنظمة بدأت بحكم البايلرباي ثم حكم الباشوات ثم حكم الأغوات وأخيرا حكم الدايات، وعرف كل نظام من هذه الأنظمة ميزة خاصة به.[1]

-مرحلة البايلربايات(1518-1587) : حيث ازدهرت البلاد في هذه الفترة من الناحية التعليمية و الاقتصادية والعمرانية وكان أول بايلرباي خير الدين باشا الذي عينه السلطان العثماني حاكما على الجزائر سنة 1518[2] ، ولمعت أسماء أخرى أمثال حسن بن خير الدين وصالح رايس وعلج علي وامتد حكمهم إلى الحدود التونسية والمغربية وبرجع الفضل إلى هؤلاء الحكام في تأسيس نواة للبحرية الجزائرية واسترجاع عدة مدن من الإسبان وللتصدي لغارة ملك إسبانيا " شارلكان " عام 1541م ، إلا أن الوضع تغير في أواخر القرن 16 حيث تدهور أسطول الدولة العثمانية بعد هزيمة ليبانت 1571 وتلاشي الخطر الإسباني على الجزائر بسبب انشغال اسبانيا بالحرب مع فرنسا ، قامت الدولة العثمانية بتغيير نظام الحكم في الجزائر خشية استقلالها وألغت في سنة 1587 نظام الباي البايات وإقامة مكانه نظام الباشوات.[3]

-مرحلة الباشوات (1587-1659): اتسمت هذه المرحلة بانتشار الفوضى والاضطرابات السياسية ذلك بسبب تحديد فترة الحكم فيها لثلاث سنوات ، فلقد انكب الولاة المعينين من طرف الإستانة على جمع الأموال مما جعل زمام السلطة تنفلت من أيديهم لصالح

الانكشارية* [4]التي أقحمت نفسها في الشؤون السياسية مما أدى إلى تذمر الأهالي ، فأدى هذا الأمر إلى انتفاضة تلمسان 1627 التي تلتها انتفاضة الكرا غلة سنة 1629 والثانية عام 1633،

و شهد الجنوب الجزائري تمردا شعبيا دام عشر سنوات في انتفاضة " ابن الصخري " إضافة إلى تمرد أولاد مقران بمجانة عام 1634م.[5]

وفي سنة 1659 تمرد الانكشاريون على إبراهيم باشا بسبب تأخر الجراية وألقوا عليه القبض ورموا به في السجن ن وجمع البولكباشي خليل مدبر العملية الديوان الذي أعلن نهاية نظام الباشوات ، لكنه سمح للباشا بالبقاء في الجزائر لتمثيل السلطان دون أي تدخل في شؤون الحكومة ، التي تبقى من شأن الديوان الذي يترأسه آغا الانكشارية وهكذا استولت الانكشارية على الحكم بصفة مباشرة.[6]

---

[1] عمورة عمار ، موجز في تاريخ الجزائر ،ط1، دار ريحانة للنشر والتوزيع ، 2002 ،ص 104.

[2] بسام العسلي، خير الدين بربروس1470-1547، ط1، دار النفائس، بيروت ،1980 ، ص 108.

[3] أرزقي شويتام ، مرجع سابق، ص 18.

* انكشارية: هي عبارة تركية تتكون من كلمتين تركيتين يني تعني الجديد وتشيري تعني النظام أي النظام الجديد .

[4] انينل الكسندر فنادولينا، الإمبراطورية العثمانية وعلاقاتها الدولية في ثلاثينيات وأربعينيات القرن التاسع عشر تر: أنور محمد إبراهيم)القاهرة، المجلس العلي للثقافية، 1999، ص 174.

[5] بابة عائشة ، مرجع سابق، ص350.

[6] صالح عباد ، الجزائر خلال الحكم التركي 1514-1830، دار هومه ، 2012، ص127.

- مرحلة الأغوات (1659-1671): بسبب تعفن نظام الباشوات تم تبديله بحكم الأغوات فاستغل " اليولداش" وهي القوة البرية التركية تابعة للانكشارية الفرصة لتقلد مناصب الحكم وقرر اليولداش إعطاء السلطة التنفيذية لأحد أعضائهم ولقبوه بالأغا بشرط أن لا تتجاوز مدة حكمه ثلاثة أشهر، أما السلطة التشريعية فيتولاها الديوان وأول آغا عين لهذا المنصب هو خليل آغا

و لكنه رفض التخلي عن منصبه بعد انقضاء مدة حكمه فثار " اليولداش" عليه وقتلوه وظهرت بوادر الضعف هذا النظام من السنة الأولى لتطبيقه لأن كل الأغوات الذين تعاقبوا على السلطة انتهى حكمهم بالقتل ، وفي هذه الفترة كثرت الغارات الفرنسية على الجزائر حيث نظمت حملة من ميناء تولون في جويلية 1664 تحتوي على 63 سفينة و8000 عسكري بقيادة" كولبير Colbert"

ونزلت بجيجل ولكن كانت حملة فاشلة وخسرت فرنسا جنودها وسفنها وكرر الملك لويس الرابع عشر حملة في 1665 على كل من مدن شرشال والقل وجيجل وكان هجوما فاشلا [1].

وفي سنة 1671 م تمردت الانكشارية على الآغا وقبضوا عليه وقطعوا رأسه وهاجم الانكشاريون القصبة ونهبوا أموال جرايتهم وعجز ديوان في الوصول إلى تعيين آغا يعيد الأمور إلى نصابها وعين ستة أغوات في ظرف ثلاثة أيام فقط وفي هذه الفوضى تدخلت طائفة الرياس التي لم تكن راضية على سياسة علي آغا متهمة إياه باللامبالاة اتجاه البحرية التي تتعرض لضربات القوات الأوربية وعينوا أحدا منهم دايا على الجزائر ووضعوا بذلك نهاية لنظام الأغوات .[2]

حكم الدايات (1671-1830) : كان الدايات في بداية عهدهم ينتخبون من طائفة الرياس وتم تعيين الحاج محمد دايا على الجزائر وتدل كلمة الداي على القائد باللغة التركية وأول من لقب به هو محمد بكطاش ورغم هذا الانقلاب إستمر السلطان العثماني في تعيين الباشوات إلا أن وجودهم في الجزائر كان شرفيا فقط، وفي عهدهم تعرضت البحرية الجزائرية إلى عدة غارات فرنسية مما أدى إلى ضعف طائفة الرياس وكان هذا الوضع في صالح الانكشاريين الذين تمكنوا من إسترجاع نفوذهم ومنذ عام 1689 اصبح الدايات ينتخبون من الانكشاريين لمدى الحياة ، ومع مرور الوقت تمكن الداي من أن يجمع بين منصب الداي والباشا ولم يعد تابعا للسلطان العثماني ولا مقيدا بقراراته بل أصبح حليفا له إلا أن الداي كان مضطرا في بعض الأحيان إلى الاستجابة لأوامر السلطان حتى يخول له جرية تجنيد الجند من الولايات العثمانية المشرقية.[3]

أما الموظفون الذين كانوا يديرون أعمال الإيالة الممثلين من مجلس الوزراء المتكوم من خمسة أعضاء أساسيين هم:

1-الخزناجي : وهو المكلف بأموال الدولة الداخلة والخارجة ، ويعرف اليوم بوزير المالية.

[1] عمورة عمار ،مرجع سابق ، ص 99.

[2] صالح عباد ، مرجع سابق ، ص133.

[3] أرزقي شويتام ، مرجع سابق ، ص 22.

2-وكيل الخرج : وهو موظف سامي يراقب النشاط البحري وأعمال الترسانة البحرية ويشرف على تهيئة عتاد الحرب وتوزيع غنائم البحر.

3-آغا العرب : يعتبر بمثابة وزير مطلق الصلاحيات لأنه يحتل المرتبة الثانية في سلك الموظفين السامين لكونه قائد فرق الانكشارية وفرسان المخزن المعسكرين خارج المدينة

4-البيت مالجي : يسهر على تسيير أملاك الدولة والعقود والمواريث في حالة عدم انعدام ورثة شرعيين وبيع الأملاك المصادرة من طرف الدولة والتركات التي ليس لها ورثة.

5-خوجة الخيل : مهمته الإشراف على أملاك الدولة ويشرف على الحيوانات التي ملك البايليك و مسؤول عن جمع الضرائب ويقوم بدور الوسيط بين الحكومة والقبائل والعشائر.[1]

وبالنسبة للقوات العسكرية فكان يطلق عليها الحاميات العثمانية وكان نواتها الجنود الإنكشارية التي أرسلها السلطان العثماني إلى " خير الدين بربروس" أثناء فتح الجزائر وكان دورهم الدفاع عن البلاد والمحافظة على الأمن ، ومن الفرق العسكرية الشهيرة في الجزائر " الكولوغلى" وهم المولدون من زواج الإنكشارية بنساء من الأهالي وكان يشكلون واسطة بين الحكومة والأهالي وذلك لمعرفتهم اللغة التركية .[2]

المطلب الثاني : الوضع الإقتصادي في الجزائر

أ-القطاع الزراعي والثروة الحيوانية :كان المجتمع الجزائري مجتمعا فلاحيا خلال العهد التركي ، أما عن أنواع ملكية الأراضي الزراعية فكانت أنواع عديدة منها: الملكية الخاصة وملكية الدولة وملكية الأوقاف وملكية العرش وكانت كل منطقة مختصة في إنتاج معينة من المحاصيل فكانت كمية كبيرة من القمح تنتجها بجاية وسهل متيجة وتلمسان ، أما الخضر والفواكه فكانت تزرع في ضواحي المدن ، واختصت المناطق الجبلية الواقعة في شمال البلاد بزراعة التين والزيتون[3].

وكانت الجزائر تتوفر على أعداد ضخمة من الحيوانات كالأغنام والماعز والبقر والخيل والبغال والحمير وقد وفرت هذه الحيوانات كميات كبيرة من الصوف والوبر وكانت تشكل مصدر العيش الرئيسي في الجهات السهبية ويضاف إلى هذه الثروة الحيوانية ما كانت تتوفر عليه السواحل الجزائرية من الأسماك والمرجان.[4]

ب- الصناعة : عرفت الجزائر في العهد العثماني الصناعة التقليدية وكانت لكل منطقة صناعتها الخاصة ، وكانت صناعة النسيج تحتل المرتبة الأولى نظرا لوفرة المواد الخام كالصوف والحرير

[1] عمار بوحوش ، التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962،ط1، دار الغرب الإسلامي ، 1997، بيروت ، ،ص 66.

[2] عبد المنعم الجميعي ، الدولة العثمانية والمغرب العربي ، دار الفكر العربي للنشر والتوزيع ، 2007 ، ص 24.

[3] أرزقي شويتام ، مرجع سابق ، ص58.

[4] ناصر الدين سعيدوني، المهدي بوعبدلي، الجزائر في التاريخ –العهد العثماني –، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر 1984، ص 60.

و كانت المدن والقرى الجزائرية تنسج الزرابي والحياك والبرانس وانتشرت صناعة الأحزمة الصوفية والحريرية وصناعة دباغة الجلود التي تصنع منها السروج والأحذية[1]، وكان سكان المناطق الجبلية يصنعون الأدوات الفلاحية والأسلحة و اهتمت قبائل بني يني بصناعة العربات

والخناجر والبنادق والمجوهرات الفضية وكانت المدن تحتوي على الصناعات الغذائية من الطواحين والمخابز ومعاصر الزيتون وصناعة السفن [2].

وكانت كل مهنة تختص بسوق ينتسب إليها وعلى سبيل المثال نذكر بعض الأسواق التي تركزت فيها الحرف الصناعية بمدينة الجزائر: سوق الحديد، سوق الخشبة، سوق الغزل، سوق الفخارين، سوق جشاقماجية" صانعي البنادق" ، سوق الفضة، سوق الخبازين ، سوق النجارين ،زنقة الرصايصة ، زنقة النحاسين، زنقة الدباغين ، زنقة الصاغة...[3].

ج- التجارة: انقسمت التجارة الجزائرية إلى نوعين أولهما التجارة الداخلية وكانت بين المدن و الأرياف فكان الفلاحون يأتون على أسواق المدن بالحبوب والمواشي والأصواف ويأخذون وكان سكان الصحراء يأتون إلى المدن محملين بالتمور ويأخذون الحبوب والأغنام[4].

أما التجارة الخارجية فكانت تتم برا مع العالم الإسلامي في حركة القوافل وأهمها قافلة الحج السنوية ويتم فيها إستبدال الأقمشة الصوفية وأقمشة بلاد فارس والعنبر والتوابل، أما المبادلات التجارية مع الدول الأوروبية كانت تقوم على أساس تصدير المنتوجات الفلاحية واستيراد الكماليات والتجهيزات المتعلقة بالجيش والبحرية وكانت أهم الصادرات في أواخر العهد العثماني تتمثل في الحبوب والزيوت والمرجان[5].

وفي أواخر القرن 18 إستولى اليهود على مقاليد التجارة وتمثيل الإيالة الجزائرية في الأسواق الأوروبية مثل شركة بكري وبوشناق التي تولت مهمة تزويد أسواق فرنسا بالحبوب وقرضا ماليا ،و في هذا النطاق تطور الخلاف الفرنسي الجزائري حول تسديد القروض وانتهى هذا الخلاف باحتلال فرنسا للجزائر 1830.[6]

د- العملة: من النقود المتداولة في أواخر العهد العثماني فمن القطع الذهبية نذكر السلطاني و أجزاءه النصف والربع ، ومن القطع النقدية الفضية الريال بوجو ويقسم إلى نصف بوجو الربيع والثمين ،و من القطع النقدية النحاسية المغشاة بالفضة نجد الخروبة، وكانت دار السكة تلجأ

[1] أرزقي شويتام ، نهاية الحكم العثماني في الجزائر وعوامل انهياره 1800-1830م ،مرجع سابق ، ص62

[2] صالح عباد ، مرجع سابق ، ص 337.

[3] ناصر الدين سعيدوني ، المهدي بوعبدلي، ، مرجع سابق، ص 62.

[4] أرزقي شويتام ، مرجع سابق ، ص65.

[5] صالح عباد ، مرجع سابق ، ص 341.

[6] ناصر الدين سعيدوني ، المهدي بوعبدلي ، مرجع سابق ، ص77.

لطرق مختلفة للحصول على الذهب والفضة وذلك إما بشرائها من الصاغة والاهالي الذين حصلوا عليها من غنائم البحر أو باستعمال جزء من ذهب وفضة الخزينة أو بإستيرادها من البلدان الأوربية.[1]

هـ -موارد الخزينة : تمثلت مداخيل الخزينة في الزكاة التي تفرض على الماشية والحبوب والأموال، والحكر وهو الإيجار الذي يدفعه الفلاحين مقابل إستثمارهم لأراضي الدولة ، والخراج وهي الضريبة التي يدفعها الأجانب ، والعشور وهي الضرائب على المحصول، واللازمة وهي تدفع كمساهمة من المواطنين في نفقات الجيش[2]، بالإضافة إلى غنائم البر التي كانت تحصل عليها القوات التركية في حروب التوسع وتشمل الحبوب والماشية وكذلك غنائم البحر التي كانت مهنة مربحة حيث تنال الدولة 12 من أسعار السفن المحتجزة وتضع تحت تصرفها كل الأسلحة المصادرة في عمليات القرصنة وتنال قسطا وافرا من المبالغ التي تدفع لافتداء الأسرى الأوروبيين.[3]

المطلب الثالث: الأوضاع الاجتماعية والثقافية

أ-إجتماعيا: كان التقسيم الإجتماعي السائد بالبلاد في نهاية حكم الدايات على مقسما إلى مجموعتين:

1– المدن : وتضم المدينة الطبقات التالية:

-الطبقة الحاكمة التركية: وهي الفئة المسيطرة على الجزائر حتى نهاية الحكم العثماني 1830،

و حرص أفرادها على إبقاء المناصب الحكومية بين أيديهم، وتميزت هذه الطبقة بقلة عدد أفراد هذه الطبقة التي لم تتجاوز سنة 1830م 20.000 نسمة.[4]

-جماعة الكراغلة: تكونت هذه الجماعة نتيجة تجاوز أفراد الجيش التركي" الإنكشارية" بنساء البلاد، كانوا يؤلفون طبقة وسطى ميسورة الحال وتمارس التجارة والزراعة والوظائف الإدارية.[5]

-الحضر: هم الذين يقطنون المدن بصفة دائمة وهم صنفان صنف البلديين وصنف الأندلسيون، البلديين هم أهالي ولدوا بالمدينة، أما الأندلسيون فهم أولئك الذين جاءوا من ممالك أرغونة، فطلوينا، وغرناطة، وإستقروا في المدن الساحلية.[6]

-البرانيون: وهم المجموعات السكانية التي هاجرت إلى المدن الكبرى كالجزائر وقسنطينة للعمل و تم تنظيمهم حسب أصولهم الجهوية .

- الدخلاء :و هم جماعات الأسرى المسيحيين واليهود المسخرين للخدمة في قصور الدايات و السفن والبساتين.[7]

---

[1] صالح عباد، مرجع سابق، ص344.

[2] عمار بوحوش ، مرجع سابق، ص 80.

[3] صالح عباد، مرجع سابق، 350.

[4] عمار بوحوش، ص 73-74.

[5] ناصر الدين سعيدوني، المهدي بوعبدلي ، مرجع سابق ، ص 94.

[6] صالح عباد، مرجع سابق، ص359.

[7] حنيفي هلايلي، أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني ،ط1، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع ، 2008، ص173.

2- سكان الريف: وكانوا يتوزعون في المناطق الجبلية والسهلية والصحراوية وكانوا مقسمون إلى أربع فئات ، وهي قبائل المخزن المتعاونة والرعية الخاضعة وقبائل الأحلاف المتحالفون والقبائل الممتنعة التي تقع في المناطق الجبلية والنائية.[1]

ب -**ثقافيا**: أما عن الحياة الثقافية في الجزائر خلال الحكم العثماني فقد طبعت بالطابع الإسلامي، فقد ارتبط التعليم والقضاء بالنظام الإسلامي فكان التعليم منتشرا في أوساط القرى

و الريف عن طريق المساجد والزوايا التي كانت تمول من الأوقاف التي يهبها أهل الخير والصلاح، إلى جانب ذلك فقد كان ما يسمى ب "الشريعة" وهي الخيمة التي تنصب لتعليم الأطفال، وهناك أيضا الكتاب أو ما يعرف ب" المسيد" وركزت على تعليم القرآن الكريم للأطفال والحديث الشريف والعلوم العربية والإسلامية، ومع كل ذلك عانت الجزائر من تأخر علمي وانحصر الجهد العلمي في الحفظ وكتابة الشروحات وأهملت العلوم العقلية مثل الكيمياء والطب والفيزياء وغيرها.[2]

المطلب الرابع: احتلال فرنسا للجزائر

كانت علاقة الجزائر بفرنسا قبل الاحتلال جيدة، حيث منحت الجزائر لفرنسا امتيازات تجارية كإنشاء مؤسسات في عنابة والقل لصيد المرجان، كما أقرضتها سنة 1796م حكومة فرنسا أموالا بدون فائدة بقيمة مليون فرنك على شرط أن تستعمل هذا القرض في شراء الحبوب من الجزائر،

و لم تبدأ المشاكل بيم الدولتين إلا بعد مجيئ نابليون بونابرت إلى الحكم الذي هدد الجزائر بالحرب بعد احتجاز الجزائر لسفينتين وطالب بإطلاق سراح أسرى إيطاليين وكان هدفه منذ البداية هو احتلال الجزائر فبعث بجواسيس للجزائر لتسجيل التقارير حول الاوضاع في الجزائر[3].

وكانت حادثة المروحة المشهورة أحد الأسباب العامة التي تذرعت بها فرنسا لشن حملتها العسكرية على الجزائر، ففي 29أفريل 1927 تقدم القنصل الفرنسي دوفال **(Doval)**لتهنئة الداي حسين بمناسبة عيد الفطر فسأله الداي عن مسألة الديون الفرنسية وكيف أن وزير الخارجية الفرنسي لم يجب على رسالة الداي ولكن القنصل الفرنسي أجابه بأن الوزير لن يجيب على من هو دونه من غير واسطة فلم يتمالك الداي نفسه وأمر القنصل بالخروج ولكن القنصل لم يخرج فلوح الداي بمروحة كانت في يده لكن القنصل ادعى بأن الداي ضربه وكتب تقريرا إلى حكومته في باريس بأنه ضرب[4].

ولكن الأسباب الحقيقية للاحتلال هي سياسة التوسع الفرنسية فكان الملك شارل العاشر يرغب في خلق تعاون مع روسيا في البحر الأبيض المتوسط حتى يتغلب على الهيمنة البريطانية في هذا البحر، كما أن انهزام الجيش الفرنسي في احتلال مصر دفع بنابليون بونابرت(**Napoleon Bonaparte**) أن يبعث

[1] أرزقي شويتام ،مرجع سابق ، ص 82.

[2] عبد المنعم الجميعي ، مرجع سابق ، ص29.

[3] عمورة عمار ، مرجع سابق، ص112.

[4] محمد زروال، العلاقات الجزائرية الفرنسية 1791-1830،مطبعة دحلب، شارع طرابلس، حسين داي، الجزائر، ص85،86.

أحد ضباطه إلى الجزائر وهو الضابط"بوتان" (**Potan**)سنة 1808م لكي يضع له خطة عسكرية تسمح له بإقامة محميات فرنسية في شمال إفريقيا، وفي عام 1809 سلم هذا الضابط تقريره إلى نابليون واقترح فيه احتلال الجزائر برًا وبالتالي يتخلص الملك من إمكانية قيام الجيش بانقلاب ضده في فرنسا،[1].

وردًا على حادثة المروحة أرسلت فرنسا قطعة من أسطولها أمام الجزائر بقيادة القبطان "كولي" **(Koli)** في 12 جوان 1827 وطلب من الداي الاعتذار من القنصل ولكن الداي رفض الاعتذار فأعلن الحصار على الجزائر ، ولكن هذا الحصار العسكري أثر على اقتصاد فرنسا فكلفها 21 مليون فرنك خلال 3 سنوات فحاولت الدخول في مفاوضات مع الداي وبعد فشل هذه المفاوضات صادقت الحكومة الفرنسية" بولينياك" **(Polignac)** والملك شارل العشر في 30 جانفي 1830 على مشروع الحملة ضد الجزائر[2].

- في يوم 14جوان 1830 نزلت القوات الفرنسية المكونة من 3700 عسكري بقيادة" دي بورمون" بسيدي فرج وكان جيش الجزائر يضم 7000 عسكري و40000متطوع وزحفت القوات الفرنسية على الجزائر العاصمة، وفي 5 جويلية 1830م قدم الجنرال "دي بورمون" شروط الصلح للداي حسين [3].

ونصت هذه الشروط التي سميت بمعاهدة الإستلام على تسليم القصبة وكل الحصون التابعة للجزائر ويستطيع الداي أن ينسحب مع عائلته وثرواته الشخصية إلى أي مكان يختار الاستقرار فيه، ويؤمن القائد العام لجميع لكل الجنود الانكشاريين نفس الامتيازات وتبقى ممارسة الديانة الإسلامية حرة ولن يقع أي اعتداء على السكان من جميع الطبقات وسيتم الحفاظ على ممتلكاتهم وتجارتهم، وسيتم تبادل وثائق هذا الاتفاق قبل الساعة العاشرة صباحا، وسيدخل الجيش الفرنسي إلى القصبة ثم يدخل كل القلاع حول المدينة.[4]

[1] عمار بوحوش، مرجع سابق، ص 83-84.

[2] ابو قاسم سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر بداية الاحتلال، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر، ص25.

[3] عمورة عمار ، مرجع سابق، ص 115.

[4] أبو قاسم سعد الله ، مرجع سابق، ص 46.

المبحث الثاني: الوضع العام في المغرب

تميزت فترة حكم السعديين والعلويين بتحولات مهمة ساهمت في تغير مجرى تاريخ المغرب قد عاش المغرب سنوات من المجد في عهد السعديين. كانت في أوجها من حيث الثقافة والمعرفة والثروة، حصلوا على الذهب من السودان، تم خلع السعديين من قبل الأسرة العلوية للاستيلاء على السلطة الملكية. وبفضل هذه السلالة، شهدت مدينة فاس تحولًا كبيرا، استمرت السلالة في حكمها حتى اليوم.

المطلب الأول: الوضع السياسي

-عهد السعديين: بدأ نفوذ السعديين في بلاد درعة والسوس الأقصى وكان ظهورهم في وقت كانت الشواطئ المغربية تتعرض للهجمات الإسبانية والبرتغالية بينما كانت الدولة الوطاسية قد وصلت لدرجة من الضعف حيث أصبحت عاجزة عن رد العدوان على الشواطئ المغربية[1]،فبدأت دعوات الجهاد على يد الأئمة ومن بينهم الإمام محمد بن مبارك فطلب منه أهل سوس مبايعته للدفاع عن البلاد لكنه رفض ذلك ودلهم على احد أشراف "تاكمدارت" وهو المولى محمد بن عبد الرحمان الذي كان يعرف بسعة العلم والجهاد فتمت بيعته وصحب أهله معه إلى سوس وكان ذلك سنة 1509م[2].

وقام بهجومات عديدة ضد البرتغاليين أكسبته شعبية أكثر واستجاب لنداء" الحاحة" و"الشياظمة" وتوجه إلى أفاغول مع بنه الأكبر أبو عباس الأعرج وترك ابنه الثاني محمد المهدي ليدير شؤون سوس ويمثله فيها،[3] وفي محمد بن عبد الرحمان سنة 1517م فتولى العهد بعده ابنه أبو العباس الأعرج الذي فتح مراكش سنة 1524 وكان أخوه محمد المهدي يباشر شؤون سوس وكان أبو العباس يستشيره ويدير خططه باتفاق معه إلى أن دب النزاع بينهما بسبب بعض رجال الحاشية إلى أن تحول النزاع إلى حرب حقيقية انتصر فيها محمد المهدي وسجن أخوه سنة 1539م وباشر حكمه وإستولى على أغادير وطرد البرتغاليين منها [4] .

وبدأ يفكر في احتواء مجموع المجال المغربي ودخل إلى مدينة فاس في أواخر سنة 1549م

وسارع أمراء الجهاد فيها إلى إعلان تبيعتهم للدولة السعدين الناشئة وسعى لتوسيع النفوذ السعدي إلى المناطق الشرقية فدخل مدينة تلمسان سنة 1550م ولكن الجيش التركي لاحق القوات السعدية واستولوا على تلمسان من جديد وقام صالح رايس باشا الجزائر بتجهيز حملة رافقت الأمير

---

[1] شوقي عطا الله الجمل، المغرب العربي الكبير في العصر الحديث،(ليبيا-تونس-الجزائر-المغرب)،مكتبة الأنجلو مصرية، ط1، 1977، القاهرة ، ص167.

[2] عبد الكريم كريم، المغرب في عهد الدولة السعدية دراسة تحليلية أهم التطورات السياسية ومختلف المظاهر الحضارية، ط3، منشورات جمعية المؤرخين المغاربة، الرباط، المملكة المغربية، 2006، ص36،ص38.

[3] ISMAEL HAMET , Histoire du Maghreb, cours professé a l'institut des hautes études marocaines , PARIS, éditions Ernest Leroux , 1923 , p260 .

[4] إبراهيم حركات ، المغرب عبر التاريخ من بداية المرينيين إلى نهاية السعديين، ط1، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، 1978، ،ص ،ص276،278.

"ابو حسون" الوطاسي مكنته من دخول مدينة فاس سنة 1553ملكنه لم يمكث فيها طويلا وتمكن محمد الشيخ السعدي من استرجاعها سنة 1554م وربط علاقات مع البرتغال لدعم السعديين عسكريا عند الضرورة فقام أتراك الجزائر باغتيال الشيخ محمد السعدي سنة 1557 [1].

بعد وفاته بايع أهل فاس ابنه عبد الله الغالب فاتجه هذا الأخير إلى مراكش فبايعوه وسارع إلى أخذ ثأر أبيه من الأتراك الذين تحصنوا في قصبة تارودانت وتمكن من هزيمة الأتراك[2]، وقام بالتقرب من دول أوروبا الغربية ومهادنتها بدافع الخوف من الخطر العثماني الذي كان يهدده من الجهة الشرقية.

بعد وفاته سنة 1573م تولى ابنه محمد المتوكل الحكم بعده[3]،لكن حمكه لم يدم طويلا فقد لجأ عمه عبد الملك وعمه أحمد إلى تلمسان ثم استنجدا بالسلطان العثماني سليم ليعينهما على الاستحواذ على المغرب فسار عبد الملك وأخوه أحمد حتى أحواز فاس والتقيا بجيش ابن أخيهم المتوكل وانتصرا عليه ولاذ المتوكل بالفرار ودخل عبد الملك فاس في 1576م ثم توجه إلى مراكش و ترك أخوه أحمد خليفة له على فاس[4].

وبعد وفاة عبد الملك تولى أخوه أحمد الحكم ولقب بالمنصور [5]، وكان من أعظم أمراء سلالة السعديين وبلغت الدولة السعدية في عهدها مجدها حكمها مدة 25 سنة نظم فيها شؤون الإدارة

و الجيش وأمن حدوده الشرقية ضد أتراك الجزائر ونجح في فتح السودان سنة 1591 م وتوفي سنة أكتوبر 1603م[6]، وبعد وفاته دخلت الأسرة السعدية في طور الانهيار حيث تناحر أبناءه الثلاثة على على الملك وأدخلوا البلاد في حرب أهلية حيث بايعت فاس ابن المنصور المولى زيدان في حين بايعت مراكش أخاه أبا فارس[7]، وكان من المفترض أن يؤول الحكم إلى زيدان لكن أخويه ابا فارس حاكم مراكش والشيخ المأمون اتحدا ضده وتمكنا من هزيمته لكن المأمون سرعان ما تنكر لأخيه أبا فارس وأقاله من منصبه ولكن المأمون قتل من قبل أحد المجاهدين سنة 1613م ولم يستطع ابنه عبد الله أن يستقر في الحكم وعاد حتى تختفي الأسرة نهائيا[8].

---

[1] محمد القبلي، تاريخ المغرب تحيين وتركيب،ط1، منشورات العهد الملكي للبحث في تاريخ المغرب ،الرباط، 2011، ص ص377- 378.

[2] مؤرخ مجهول، تاريخ الدولة السعدية التكمدارية، ط1، تقديم عبد الرحيم بنحادة، دار تينمل للطباعة والنشر ،مراكش، 1994 ، ص35،ص36.

[3] عبد الكريم كريم ،مرجع سابق، ص93.

[4] شوقي عطا الله الجمل، مرجع سابق، ص175.

[5] صالح العقاد، المغرب العربي في التاريخ الحديث والمعاصر الجزائر، تونس، المغرب الأقصى، ط6، مكتبة الأنجلو مصرية، 1993، ص53.

[6] ISMAEL HAMET, Op.cit, p298,299,300,302..

[7] دلندة الأرقش، عبد الحميد الأرقش، جمال بن طاهر، المغرب العربي الحديث من خلال المصادر، مركز النشر الجامعي، 2003، ص23.

[8] نفسه، ص26

وفي هذه الأثناء تظهر زعامات سياسية تعتمد على أساس ديني ووعسكري استولت على السلطة في فاس ومراكش مثل الطريقة الدلائية أو السملائية وحكومة العياشي في سلا[1].

و تمكنت الحركة الدلائية من هزيمة الجيش السعدي وطرح الزعيم الدلائي نفسه سلطانا بديلا عن السلطان السعدي وقتل آخر سلاطين الدولة السعدية أبي العباس سنة1659م.[2]

عهد العلويين: يرجع نسب الأسرة العلوية إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وأول من جاء من هذه الأسرة إلى المغرب هو المولى حسن بن قاسم وإستقر في "سجلماسة"[3] وكان ذلك في القرن 11و هو هو جد المولى علي الشريف مؤسس الدولة العلوية[4].

في خضم الصراعات التي تلت وفاة المنصور أثارت منطقة "تافيلالت" أطماع الدلائيين

و السملاليين فاختار أهلها سنة 1631 مبايعة المولى علي شريف زعيما محليا للدفاع عنها وسرعان ما تكونت طائفتان متعارضتان بتافيلالت إذ استنجدت تابوعصامت بالحاج محمد الدلائي

واستعان المولى علي شريف بوحسون السملالي وتمكن الدلائي من احتلال تابوعصامت[5]،فلما رأى أهل تابوعصامت الصداقة التي بين أبو الحسون والمولى علي حرضوا أبو حسون ضد المولى فقام بسجنه، فعمل محمد بن المولى علي الشريف الانتقام لوالده وسانده أهل سجلماسة

و بايعوه فتوجه إلى أبي حسون ببلاد درعة ووقعت بينهما حروب انتهت بإنتصار المولى محمد فإستولى على درعة وإستولى على فاس سنة 1650م بعد أن استصرخه أهلها التي كانت تحت حكم محمد الحاج وبايعه أهلها وإستولى كذلك على وجدة[6].

غير أن المولى رشيد بعد وفاة والده المولى وعلي خرج على بيعة أخيه المولى محمد ودعا لنفسه بشرق المغرب وانتهى الأمر بالشقيقين بالقتال الذي ذهب ضحيته المولى محمد في أوت 1664م، فبويع المولى رشيد واتجه نحو "سجلماسة" التي تزعمها ابن أخيه محمد الصغير وإستولى عليها

و إستولى على فاس في 1666م وإستولى على مراكش والسوس وتم في عهده تنظيم الجيش وساد الرخاء في عهده وتوفي سنة 1671م[7]، وتولى الحكم بعده أخيه المولى إسماعيل الذي عمل على حراسة الطرق والممرات لحفظ الهدوء والأمن وانتزع طنجة من يد الإنجليز وجرد الإسبان من الأماكن التي كانوا يسيطرون عليها في المغرب وأسس مدينة مكناس بأبوابها الأثرية وجعل منها عاصمة مملكته، وخلفه في

---

[1] صالح العقاد ، تونس ، مرجع سابق، ص60

[2] دلندة الأرقش عبد الحميد الأرقش، جمال بن طاهر، ،مرجع سابق، ص26.

[3] سجلماسة مدينة عتيقة أسسها بو مدرار في القرن الثاني للهجرة وكانت عاصمة لإقليم تافيلالت، إلى ما بعد القرن الحادي عشر للهجري وما زالت أطلالها قائمة إلى اليوم، ينظر: شوقي عطا الله الجمل، مرجع سابق، ص.214

[4] أبو العباس أحمد بن خالد الناصري، الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى الدولة العلوية، تقديم جعفر الناصري، محمد الناصري، ج7، دار الكتاب ، الدار البيضاء، 1997، ص7.

[5] محمد القبلي، مرجع سابق،ص400.

[6] أبو العباس أحمد بن خالد الناصري، مرجع سابق، ص15، ص16.

[7] شوقي عطا الله الجمل، مرجع سابق، ص213، ص214.

الحكم محمد بن عبد الله الذي عمل على إدخال الإصلاحات إلى مملكته وقام بتسليح البلاد وبناء المعاقل وارتبط بعلاقات تجارية مع جميع دول أوروبا وأسس مدينة الصويرة هو أول من اقترح على دول أوروبا إلغاء الاسترقاق وفي عهده أمضيت مع فرنسا سنة 1767 أول معاهدة حول الحمايات والمحاكم القنصلية وطرد البرتغاليين من مدينة الجديدة[1].

وبعد وفاته تولى الحكم بعده ابنه المولى يزيد لمدة سنتين فقط(1790-1792) حيث ثارت عليه قبائل الحوز وبايعت أخاه المولى هشام فقام هذا الأخير بقتل أخيه يزيد فانقسمت البلاد بين أولاد محمد الثلاثة فبايع أهالي الحوز ومراكش المولى هشام أما بلاط الهبط بايعت المولى مسلمة وبايع أهل فاس المولى سليمان ،و تمكن المولى سليمان الذي بويع في 1792 من السلطة الذي نجح في التقريب بين القبائل وفرض الأمن ووضع حدا للقرصنة [2]، وحدد الموانئ التي يجوز للتجار الأوروبيين أن يقيموا فيها وحظر على جميع الرعايا المسيحيين تجاوزها للداخل وحرم على رعاياه الخروج للتجارة في البلاد المسيحية تجنبا للمشاحنات مع أوروبا[3] .

خلفه في الحكم ابن أخيه المولى عبد الرحمان بن هشام الذي نهج سياسة الإنفتاح على أوروبا بتوقيع سلسلة من المعاهدات التي ساهمت في تزايد المبادلات التجارية وتكاثر أعداد الأوروبيين بالمدن الداخلية والساحلية وتعاظم مصالحهم الاقتصادية [4]،لكن استيلاء الفرنسيين على الجزائر سنة 1830م فتح الباب على مصراعيه لاحتكاك جديد بين المغرب والدول الأوروبية، فلما إستولى الفرنسيين على ميناء الجزائر التجأ أهل تلمسان إلى السلطان عبد الرحمان طالبين الانطواء تحت لوائه فأعلن المولى عبد الرحمان قبول انضمام أهل تلمسان للمغرب واعتبار بلادهم جزءا منها وعين ابن عمه المولى علي بن سليمان واليا عليها ولما استقرى المولى علي في تلمسان قدمت عليه الوفود وبايعوه، لكن لم يلبث أن تمرد عليه بقايا الأتراك من الكراغلة وزادت الاضطرابات بعد دخول الفرنسيين مدينة وهران فلم يسع المولى عبد الرحمان إلا أن يسترجع جيوشه والجلاء عن تلمسان[5].

المطلب الثاني: الأوضاع الاقتصادية:

سنتطرق إلى الأوضاع الاقتصادية في عهد الدولة السعدية ثم في عهد الدولة العلوية:

1-في عهد الدولة السعدية: إهتم المولى أحمد المنصور بالزراعة حيث قام بتنظيم أنواع المزروعات من حبوب وفواكه وخضر وزيتون وكرمة ونخيل والاعتناء بالماشية والحيوانات الداجنة وإهتم بالري وسقي الأراضي الزراعية وتوزيعها على القبائل لزراعتها والاهتمام بها

[1] المغرب الأقصى "مراكش" قبل الحماية، عهد الحماية ، إفلاس الحماية، مكتب المستندات والأنباء، مصر ، 1951، ص 25، ص26.

[2] دلندة الأرقش، عبد الحميد الأرقش، جمال بن طاهر ، مرجع سابق، ص32

[3] صالح العقاد، مرجع سابق، ص70.

[4] محمد القبلي، تاريخ المغرب تحيين وتركيب ، مرجع سابق، ص457.

[5] شوقي عطا الله الجمل ، مرجع سابق، ص239.

وتوزيعها على المهاجرين الأندلسيين[1] ،و خصص لهم راتبا كالجنود وأجرى لهم مجرا مائيا وإدارة أرحية أقيمت على ضفاف المجرى، كما ألزم القبائل المترحلة على الاستقرار في البادية والاشتغال بالزراعة فانتعشت الزراعة في المغرب ولكن بعد وفاة المنصور اضطربت الأحوال نتيجة تنافس أبنائه على السلطة فاضطرب الأمن وانعدم في الطرق والحقول ثم أصيب المغرب بسلسلة من المجاعات والأوبئة[2].

ومن أهم الصناعات التي ازدهرت في هذا العهد هي صناعة السكر وأنشأ المولى أحمد مصانع سكرية[3]، ومن أهم الصناعات اليدوية التي راجت في هذه الفترة صناعة الزرابي التركية ، وفي هذا العهد بدأ المغرب يصنع مدافعه لأول مرة في ترسانة مراكش التي كانت توجد بالقصبة وكان يعمل بها الأسرى المسيحيين.[4].

وبعد فتح الصحراء وبلاد السودان إتسع نطاق التجارة المغربية الداخلية فأصبح هؤلاء التجار يتاجرون بمزروعات المغرب ومصنوعاته وبملح الصحراء وذهب وتوابل السودان ورقيقه وأما عن طرق المواصلات فقد كانت منظمة ومضبوطة تربط بين أهم المدن والأقاليم و من شواطئ البحر المتوسط شمالا حتى أقصى السودان جنوبا [5]، أما بخصوص التجارة الخارجية فإن من أهم الدول الأوروبية التي كان المغرب يتبادل مع تجارها السلع المختلفة هي إنجلترا، فرنسا، إسبانيا، إيطاليا وهولندا والمواد التي كانت يستوردها الأوروبيين من المغرب فهي السكر والتمر واللوز والشمع والجلود وبعض المعادن كالنحاس والبارود والعنبر ، أما أهم واردات المغرب من هذه الأخيرة فهي الأسلحة المختلفة الهجومية والدفاعية ومعدات بناء السفن والأقمشة الصوفية [6] .

2-في عهد الدولة العلوية:

كان الإنتاج الفلاحي يدور حول زراعة الحبوب والخضروات والكروم وأشجار الزيتون وأنواع الفواكه ، بالإضافة إلى تربية المواشي ،كانت الملكيات الزراعية في عهد العلويين متنوعة، بحيث نجد الملكيات الجماعية وأملاك الخواص وأملاك الأحباس وأملاك المخزن، وبخصوص هذه الأخيرة فإن السلاطين كانوا يقومون بإقطاع الأراضي الفلاحية لبعض القبائل المرُحلة، ولبعض عناصر الجيش، ولبعض الأفراد والعائلات والزوايا، في حين كانت الملكيات الفردية تتوزع بين كبار الملاكين من الأسر الثرية وقواد الجيش وموظفي الدولة وصغار الفلاحين[7].

---

[1] عبد الكريم كريم، ،مرجع سابق، ص 254.

[2] عمر بن خروف، ملامح من الحياة الإقتصادية في المغرب في عهد السعديين ، مجلة الدراسات التاريخية ، العدد 1،ص71.

[3] عبد الكريم كريم ،مرجع سابق، 256.

[4] إبراهيم حركات، مرجع سابق، ص 433.

[5] عبد الكريم كريم، مرجع سابق، ص 262

[6] عمر بن خروف ، مرجع سابق ، ص83.

[7] نصيرة كله، المغرب الأقصى في عهد الدولة العلوية في كتاب الإستقصا للناصري، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في المغرب العربي الحديث والمعاصر، 2019/2018، جامعة أبي بكلا بلقايد تلمسان، ص210.

وكانت فاس أكبر مدينة للصناعات والحرف اليدوية في هذه الفترة، إذ اشتهرت بمصنوعاتها الصوفية والجلدية والأواني النحاسية والحلي من الذهب والفضة والاسلحة والزرابي والأواني الخزفية واحتلت تطوان مقاما مرموقا في الصناعات الكثيفة واليدوية خلال القرن 18 و19 حيث كانت تنتج الآلات الحديدية والمصنوعات الحديدية كصفائح الخيل والمسامير وكانت تزود المخزن بكميات كبيرة من الذخائر والسلاح وفي أواخر أيام السلطان عبد الرحمان كانت الرباط وسلا تحتلان الدرجة الثالثة في ضخامة الإنتاج وقد انتجتا معا840زربية صدر ثلثها الى الخارج و63200حايك و 460800 سينية .

أما بخصوص التجارة الداخلية عرفت مدينة فاس رواجا تجاريا هاما ، فهي مركز رجال الأعمال والصناع وأرباب المهن والحرف فهي كانت تقع في ملتقى الطرق التجارية الكبرى من الجنوب إلى الشمال ومن الشرق إلى الغرب .

وكانت القوافل تحمل مصنوعات تطوان وفاس من منسوجات وأواني ثم تعود برش النعام والعاج والصمغ ثم تتوجه مع قبائل تافليلات إلى السودان[1] ، وأهم الصادرات المغربية: الملح، التبغ، الجلود، التمر، المنسوجات...وتصحبها صادرات أوربا التي عبر الطرق الداخلية الإفريقية ويعد ريش النعام من أهم المواد الصحراوية التي تصدر الى أوربا، وتأتي سفن الولايات المتحدة الى الصويرة لتحمل منتجات الصحراء الى غرب الهند وكانت تصدر الجزائر الى المغرب عن طريق البحر: السيوف، الخناجر، الأقمشة الهندية وعن طريق البر الصوف، الوبر والشمع وعن الطريق الصحراوي الذهب وريش النعام والحبوب والتمر أما صادرات المغرب البلغة، الشواشي، البخور[2].

المطلب الثالث :الأوضاع الاجتماعية والثقافية

أ-الأوضاع الاجتماعية: كان المجتمع المغربي يتكون من أصناف مختلفة من الأجناس هي كالتالي:

1-البربر: هم الأحفاد الأصليون للأجناس الأصلية لشمال إفريقية وقد تم تصنيفهم في المغرب تحت مصطلح" الأمازيغ"،" الشلحيين" و"الشلاحة"، ويسكن الامازيغ في الريف والجبال العالية في الأطلس حتى أقصى الجنوب، أما الشلحيين في الريف المرتفع وبعض الوديان المرتفعة في شمال أدرار ونديرين وجنوب سلسلة الأطلس ووادي سوس وتافليلات.[3]

2-العرب: جاء العرب إلى المغرب في عهد خلافتي عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان لنشر الإسلام ، ونشأت الدولة الإدريسية وهي أول دولة عربية إسلامية تنشأ بالمغرب الأقصى وأخذ إدريس الثاني يستكثر من العرب في حاشتيه ، وفي القرن الخامس للهجري حدثت الهجرة الأعرابية الكبرى لبني هلال وبني سليم إلى المغرب[4] .

---

[1] نصيرة كله، مرجع سابق ص215،ص216، ص219.

[2] نفسه، ص224.

[3] R-J FRISCH, Le Maroc géographie, organisation, politique ,Paris, ERNEST LEROUX éditeur,1895,p154.

[4] شوقي ضيف الله ، عصر الدول والإمارات ليبيا- تونس- صقلية ، دار المعارف، القاهرة، ص301.

3-الأندلسيين : كان وجود الأندلسيين في المغرب قبل القرن 15م حيث شغلوا بعض المدن كالهندسة والطب والكتابة للسلاطين، إلا أنه مع تزايد الضغوط المسيحية على مملكة غرناطة إستمر سيل هجرة الأندلسين إلى المغرب بشكل مكثف ووصل عددهم الأندلسيين المهاجرين بعد سقوط غرناطة إلى حوالي أربعة آلاف شخص.[1]

4-الأتراك: منذ تولي السلطان أحمد المنصور الحكم عمل على تكوين جيش مغربي حديث على غرار الجيش التركي "الإنكشارية"، فكون فرقا عسكريا نظامية اتخذها من الأتراك والأندلسيين

والعلوج والسودانيين، وفيما يتعلق بوضعية الأتراك داخل المجتمع الغربي نجد بأن هؤلاء كان لهم في مدينة مراكش حي خاص نظرا لعاداتهم وتقاليدهم ولغتهم ثم أخذوا يتفاعلون مع السكان تدريجيا لعامل الدين الإسلامي[2].

5-اليهود: انتشروا منذ فترة طويلة في جميع أنحاء المغرب بعضهم ينحدر من قارة آسيا ، أما الآخرون فلهم أسلاف طردوا من إسبانيا والبرتغال في القرن 14م والقرن 16م ، وكان لهم تأثير كبير على التجارة والصناعة.[3]

6-الأسرى: بلغ عدد الأسرى المسيحين الذين سكنوا المغرب حوالي ثلاثة آلاف في مراكش وحدها في أواسط القرن 16 م، وكانت إقامة الكثيرين منهم تطول سنوات عديدة في إنتظار مفاداتهم من قبل قناصل بلادهم وقسم كبير منهم يضطر إلى إعتناق الإسلام ليتخلص من الأسر وإلا إحتفظ بوضعيته كأسير[4].

ب-الأوضاع الثقافية:

إن أساس التعليم في المغرب كان إستظهار القرآن الكريم وإتباعه بحفظ المتون وكانت أماكن التعليم هي الكتاتيب الملحقة بالمساجد والجوامع والمدارس ، كما كان التعليم ينقسم على مرحلتين مرحلة التعليم الإبتدائي وكان يشمل تعليم حروف الهجاء وكيفية الرسم وضبط التجويد وكان هذا يتم داخل الكتاب" المسيد" الملحق في الغالب للمسجد وكان التلميذ يبدأ فيه بحفظ القرآن ثم يشرع في تحصيل الروايات ثم تبدأ مرحلة التعليم العالي ويتم تلقين العلوم اللغوية والفقهية و إستعمال نصوص أساسية كموطأ مالك وصحيح البخاري في الحديث النبوي والإطلاع على أمهات المتب الأصلية ومذاهب شرحها[5].

[1] محمد القبلي، مرجع سابق، ص314، ص315.

[2] عبد الكريم كريم، مرجع سابق، ص278.

[3]. R-J FRISCH, ,Op.cit, p163-164.

[4] إبراهيم حركات، مرجع سابق، ص414.

[5] نصيرة كلة ، مرجع سابق، ص295.

وكانت ميزة هذا العصر الإعتناء بتفسير القرآن الكريم وتعدد المفسرين من بينهم الحاج محمد الشطيبي صاحب كتاب اللباب في حل مشكلات الكتاب،و من أبرز الشخصيات الفقهية عبد الواحد بن أحمد بن علي بن عاشر الأنصاري ومن مؤلفاته نظم المرشد المعين في مبادئ الفقه و التوحيد[1].

كما كان لظهور الأوبئة وداء الطاعون في المغرب الأثر الأكبر في ظهور عدد من من الأبحاث الطبية والصيدلية لإكتشاف عقاقير وأدوية تساعد على مقاومة الداء الخطير وأهم المؤلفات الطبية "حديقة الأنهار في شرح ماهية العشب والعقار" للوزير الغساني ، ومن أشهر أطباء هذا العهد أبو عبد الله محمد طبيب المولى أحمد المنصور الخاص[2].

كما كان الإقبال كبيرا على الرياضيات والهيئة فعلم الرياضيات ضروري في المواريث وهندسة المباني، أما علم الهيئة كانت الحاجة إليها في إعداد أطر التوقيت ومن العلماء الذين تعاطوا للرياضيات محمد بن أبي القاسم ومن مؤلفاته " البرث الوامض في الحساب والفرائض"، ومن علماء الهيئة أحمد التقليتي وكان يجمع بين الرياضيات والتعديل وأبو زيد عبد الرحمان الجزولي صنع الساعة الرخامية بالمسجد الأعظم ومسجد القصبة ومن مؤلفاته " شرح روضة الأزهار وشرح السيارة"[3].

[1] إبراهيم حركات ، مرجع سابق، ص460، ص461.

[2] عبد الكريم كريم ، مرجع سابق، ص321.

[3] إبراهيم حركات ، مرجع سابق، ص469، ص470.

المبحث الثالث : الوضع العام في إيالة تونس

-منذ عام 1590 بدأ الأتراك يحكمون تونس بواسطة الداي وبعده الباي حكم الداي من 1598م إلى 1630م والباي من 1631م إلى 1702، وتعاقب على حكم تونس أسرتين، الأسرة المرادية ثم الأسرة الحسينية وكل مرحلة تميزت عن الأخرى سياسيا، اقتصاديا، اجتماعيا وثقافيا.

المطلب الأول : الوضع السياسي

إستولى الترك بقيادة " سنان باسا" على تونس نهائيا في سنة 1574م بعد صراع طويل مع الإسبان ومع الحفصيين وفي أول الأمر لم تكن تونس ولاية عثمانية وإنما ألحقت بالجزائر ثم إنفصلت وألحقت بالباب العالي منذ سنة1587 [1]، ونظم سنان باشا الديوان لإدارة شؤون البلاد

و خصص الرواتب ونظم الجباية وجعل عليها مشرفي" الباي" فكان الباشا" الباي" يقوم بحكم البلاد ومعهم قوة من الأتراك العثمانيين يقوذهم الآغا، وقسم الجيش إلى أربعين فرقة كل فرقة 100محارب يرأسهم " الداي"[2].

وعاد سنان باشا إلى الإستانة وإستمر الحال على هذا الترتيب إلى أن ثار صغار الجمد برؤساء الديوان وفتكوا بهم بظلمهم فعقد الباشا وكبراء العسكر مجلسا أجمع رأيهم على تقديم أحد الدايات للنظر في شؤون الإنكشارية وحفظ النظام في مدينة تونس[3]، واستطاع الدايات أن يحكموا تونس وحكم بعضهم حكما قويا مثل عثمان داي ونظمت قوانين الحكم وجعل نظام القرصنة نظاما أساسيا ولم يكن منصب الداي وراثيا فكان الحكم لمن غلب من ضباط الجيش[4].

ومن أشهر هؤلاء الدايات عثمان داي(1598-1610) الذي أصدر قوانين لتنظيم شؤون الرعية و قام بتعمير البلاد ويسير استقرار مهاجري الأندلس الذين أقطعه الأراضي ومنحهم الأموال ،

وكذلك يوسف داي (1610-1631) ومن اثاره الباقية مدرسة وجامعة اليوسفية وفي عهده اشتد الخلاف بين الحدود على الجزائر وتونس واسترجعت تونس جزيرة" جربة" من ولاية طرابلس العثمانية[5] وتوفي سنة 1637م و في فترة عهده استنجب أحد صغار الموظفين وهو " مراد باي" فاستعان به يوسف داي في الشؤون المهمة من السفر بالعساكر وإخضاع البغاة وتحصيل الجبايات ، فسعى مراد باي لدى الباب العالي في لقب باشا فتم تقليده باشا سنة 1630م ومنذ ذلك الحين توطت وظيفة الباي وتحول النفوذ شيئا فشيئا من أيدي الداي إلى أيدي البايات إلى أن إستقروا بالأمر[6].

---

[1] محمد محمود السروجي، العلاقات التونسية الفرنسية من الحماية إلى الاستقلال ، المكتبة الوطنية ، مطبعة المصري، بنغازي، ص 10.

[2] محمود السيد، تاريخ دول المغرب العربي ليبيا- تونس- الجزائر- المغرب- موريتانيا، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية،2000، ص129.

[3] حسن حسيني عبد الوهاب، خلاصة تاريخ تونس، دار الجنوب للنشر ، تونس،2001، ص113.

[4] محمد محمود السروجي ، مرجع سابق، ص13.

[5] شوقي عطا الله الجمل، مرجع سابق، ص 109.

[6] حسن حسيني عبد الوهاب، مرجع سابق، ص116.

ونجح مراد باي في أن يورث الأمر من بعده لأبنائه فأسس أسرة حاكمة في تونس وهي الأسرة المرادية التي استمرت تحكم البلاد حتى سنة 1702[1]، وعندما تقلد مراد باي لقب الباشوية تنازل عن السفر بالأمحال لابنه حمودة باي وبعد وفاة مراد باي تولى ابنه حمودة باي الأمر من بعده الذي فرض الأمن في البلاد ورتب أجواق الصبايحية بأربع مراكز من القطر وهي تونس والقيروان والكاف وباجة ووظيفة هؤلاء الصبايحية هي حفظ الراحة وتأمين السبل وفي سنة 1657 طلب "حمودة باي" من الباب العالي أن تقلده رتبة الباشوية فكان له ذلك، فتخلى حينئذ عن السفر بالأمحال لإبنه الأكبر مراد الثاني وعقد لبقية أولاده على نواحي الولاية وكانت وفاته سنة 1666م[2].

وخلفه ابنه مراد الثاني الذي تمكن من سحق ثورة قام بها الجند الغير النظامية في طرابلس وشرع في بناء المنشآت وتوفي سنة 1676م، وبعد وفاته حدث صراع على السلطة بين ولديه محمد وعلي وأخيه محمد الحفصي [3]، ثم عاد الهدوء بانتصار محمد باي ابن مراد باي الثاني سنة 1686 إلا أن الحالة اضطربت من جديد أثناء ثورة مراد الثالث وعمه رمضان سنة 1699، ثم ظهر ضابط تركي يدعى إبراهيم الشريف الذي وضع حدا لتجربة المراديين بأمر من الباب العالي وتم ذلك في جوان1702م وأخذ مقاليد الأمور لكن عارضه الأهالي وإنهار نظامه سنة 1705م[4].

ثم انتقلت الولاية في تونس إلى حسين بن علي فأسس أسرة حاكمة جديدة هي الأسرة الحسينية التي استمرت في الحكم في تونس إلى غاية الاستقلال والإعلان عن الجمهورية التونسية سنة 1957م وكان حسين بن علي من الجند وتدرج عدة وظائف حتى انتخب واليا وجعل الولاية وراثية في بيته يتداولها الأكبر[5]، ثم دب النزاع بين الباي حسين وابن أخيه علي الذي كان قد وعده من قبل بأن يجعله وليا للعهد ولكن "حسين باي" غير رأيه بعد أن رزق بولدين واكتفى بأن حصل له على لقب باشا من الباب العالي ، فلجأ علي إلى الحاكم العثماني في الجزائر الذي أمده بجيش لمحاربة عمه حسين وفي سنة 1741م تقابل جيش حسين باي مع جيش علي باي في جنوب القيروان وهُزم الباي حسين الذي قتل في المعركة وصار علي واليا على تونس[6].

في هذه الأثناء كان كثير من أعيان تونس يكاتبون محمد الرشيد وأخيه علي باي أبناء الحسين باي يحثونهما للقدوم إلى البلاد، فاستمد الأخوان جيشا من حاكم الجزائر ووصلا إلى الكاف سنة 1756م وحاصروا تونس العاصمة ودافع علي باشا عن المدينة إلى أن قتل وتولى الولاية بعده محمد

---

[1] شوقي عطا الله الجمل ،مرجع سابق، ص 109.

[2] حسن حسيني عبد الوهاب ، مرجع سابق، ص119.

[3] محمود السيد، مرجع سابق، ص 131.

[4] محمد الهادي الشريف، تاريخ تونس ما يجب أن تعرف عن تاريخ تونس، تعريب محمد الشاوش- محمد عجينة، ط3، دار سراس للنشر، تونس، 1993، ص 80.

[5] شوقي عطا الله الجمل ، مرجع سابق، ص110.

[6] محمود السيد ، مرجع سابق، ص 132-133.

الرشيد باي[1]، ثم كلف أخيه علي بتدبير شؤون الدولة وتوفي سنة 1759م وبقي علي في الحكم ، اهتم بالتجارة والزراعة والصناعة وبعد وفاته خلفه ابنه حمودة في الحكم الذي أشرك التونسيين في الجيش وشاركوا في الحكم مع العثمانيين [2] .

وعلا شأن تونس في عهده إلا أن توفي سنة 1814م وخلفه في الحكم أخوه عثمان باي إلا أنه لم يكن له خبرة بإدارة الإيالة فانتهز ابن عمه محمود باي الفرصة واستعان بكبار الدولة ودبروا مؤامرة أسفرت عن مقتل عثمان باي في ديسمبر 1815م وخلفه ابن عمه محمود باي [3]، وشهدت تونس في فترة حكمه الكثير من أوجه العمران، فتعددت بها الجوامع والزوايا والمدارس

والمستشفيات وتولى الولاية بعده ابنه حسين باي سنة 1824م[4]، ثم أخوه مصطفى باي سنة 1835م ثم ابنه أحمد باي الأول سنة 1837م ثم ابن عمه محمد باي ابن حسين باي الثاني سنة 1855م.[5]

المطلب الثاني: الأوضاع الاقتصادية

الزراعة: ارتبطت الزراعة في تونس بطبيعة ملكية الأرض وتقسيمها ، فكان هناك الأراضي الخصبة المحيطة بالمدن والأراضي التي تصادر من القبائل وتمنح لكبار الموظفين والأراضي التابعة لقبائل معينة تمارس فيها نشاطها الزراعي والرعوي [6]، عرف الإنتاج الزراعي تطورا ملحوظا طيلة القرنين 16م و17م في تونس حيث زرعت الأشجار المثمرة والخضر والبقول وأنواع الحبوب [7].

ويعود الفضل في تطوير الإنتاج الزراعي بتونس إلى المزارعين الأندلسيين الذين قاموا باستصلاح الأراضي وحفر الآبار والسواقي ونجحوا في إدخال مزروعات جديدة مثل الفلفل والبطاطس و الباذنجان والجلبان والملفوف والقطن وتوسعوا في زراعة والعنب والتين والزيتون [8].

---

[1] حسن حسيني عبد الوهاب ، مرجع سابق، ص 128.

[2] محمود السيد، مرجع سابق، ص133.

[3] حسن حسيني عبد الوهاب، مرجع سابق، ص 133.

[4] شوقي عطا الله الجمل، مرجع سابق، ص 113.

[5] محمد بن خوجة، صفحات من تاريخ تونس، تقديم وتحقيق حمادي الساحلي- الجيلالي بن الحاج يحيى،ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986، ص58ص59.

[6] عبد المنعم إبراهيم الجميعي، مرجع سابق، ص63.

[7] ناصر الدين سعيدوني، الاوضاع الإقتصادية والاجتماعية والثقافية لولايات المغرب العثمانية(الجزائر-تونس-طرابلس- المغرب) من القرن السادس السادس عشر حتى القرن التاسع عشر ميلادي، جامعة الكويت، قسم التاريخ كلية الآداب، حوليات الأدب والعلوم الاجتماعية ، الحولية 31، 2010، ص29.

[8] نفسه، مرجع سابق، ص29.

وتذكر بعض التقارير بأن الإنتاج التونسي أضحى يزداد سنة بعد سنة، ففي سنة 1788م شحنت إلى مختلف الدول الأوروبية كميات معتبرة من القمح والشعير وزيت الزيتون[1]، أما بخصوص المجال الصناعي فقد إهتمت تونس بالصناعات الحرفية وأهمها صناعة الشاشية

وصناعة الحرير والصناعات النسيجية وعرفت تونس صناعة العطور وتمكنت من تصدير كميات كبيرة من هذه العطور[2]، وإهتمت تونس بصناعة الأسلحة والجلود وتستعمل هذه الجلود في صناعة الأحذية وأغمدة السيوف ، كما اشتهرت بصناعة الخشب وبناء السفن وكانت تعتمد على الأخشاب المحلية لصناعة الأواني المنزلية وإعتمدت على الأخشاب الجيدة المستوردة في صناعة السفن الشراعية والقوارب الصغيرة إهتمت بصناعة الخزف والأدوات الفخارية والمجوهرات

والحلي الذهبية والفضية[3].

أما في يخص المجال التجاري فكانت نوعين التجارة الداخلية والتجارية الخارجية :

1 -التجارة الداخلية: فقد أدى تنوع الإنتاج الزراعي والصناعي إلى ازدهار النشاط التجاري فأصبحت المدن التونسية مراكز تجارية يأتي إليها الأهالي من مختلف جهات البلاد وانتشرت أسواق عديدة في القطر التونسي وأهمها سوق العطارين وسوق السكاجين التي عرفت بصناعة السروج ولوازم الفروسية وسوق البلاغجية التي خصصت لصناعة الأحذية وسوق السجاد خصصت في تجارة السجاد والأقمشة الحريرية وسوق الشواشين وسوق الحديد[4] .

وقد إهتم الباي حمودة باشا بتنشيط التجارة الداخلية من خلال مجموعة من الإجراءات إذ منع التجار الأجانب من إبتياع المحصولات الزراعية من المزارعين مباشرة إلا إذا تكت بواسطة تجار تونسيين وذلك لضمان ربح التجار المحليين في كل صفقة ومحاولة حماية الفلاح والتخفيف من الغبن الذي يحصل له عندما يبيع محصوله قبل وقت الحصاد بأثمان بخسة ونشط الباي التجارة عن طريق لقوافل التجارية العامة في الشمال والجنوب وقام ببناء قنطرة بنزرت والتي ربطت أخصب جهة تورع فيها الحبوب وهي المنطقة الشمالية بالعاصمة والنواحي المجاورة لها[5].

2 -التجارة الخارجية: كانت الإيالة التونسية ملتقى القوافل الصحراوية والمغربية فكانت قوافل غدامس وفزان تأتي بالعاج وريش النعام وتحمل الملح والمنسوجات الأوروبية والمرجان والمعادن

---

[1] رزيقة محمدي ، الإصلاحات الإقتصادية بإيالة تونس قي عهد حمودة باشا (1782-1814م)، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية، جامعة بابل ،العدد 30، 2016 ص89.

[2] نفسه ،ص93.

[3] ناصر الدين السعيدوني،، الاوضاع الإقتصادية والاجتماعية والثقافية لولايات المغرب العثمانية(الجزائر-تونس-طرابلس- المغرب) من القرن السادس عشر حتى القرن التاسع عشر ميلادي، مرجع سابق، ص36-ص37.

[4] بوتوقامس حفيظة، النشاط التجاري التونسي خلال العهد الحسيني1705-1830م، مجلة معارف، جامعة المدية، العدد 18، 2015 ، ص79، ص79، ص80.

[5] رشاد إمام، سياسة حمودة باشا في تونس 1782-1814م، ص292-ص 293

فوجود هذه القوافل في الخريف والشتاء نشطت الحركة التجارية في تونس [1]، كما كانت تصل إلى تونس قافلة من قسنطينة تحمل كميات مهمة من الشمع والجلود وقطعان المواشي والأبقار

وتحصل في مقابلها على حمولات الشاشية والأقمشة المصنوعة محليا أو الأوروبية مع كميات مهمة من الحلي والعطور والأدوات الحديدية والتوابل وغيرها [2].

وفي عهد الباي حمودة باشا قام بتشجيع التجارة الخارجية باتخاذه جملة من التدابير منها إعطاء رخص تصدير الحبوب والزيت والتجار التونسيون يبيعونها للتجار الأجانب وإعفاء التجار التونسيين من دفع الضريبة على تصدير الحبوب والزيت من تونس وفتح الباي باب تصدير الحبوب التونسية إلى أوروبا وإيجاد أسواق لها بأوروبا وجعل الريال الإسباني والفرنك الفرنسي العملتين المعتمدتين في التعامل التداري مع الدول الأوروبية ومحافظته على أمن التجار الأجانب بالبلاد ومن بين هذه الدول الأوروبية فرنس، بريطانيا، إسبانيا، إيطاليا، أمريكا، الدنمارك، السويد وألمانيا.[3]

مداخيل البحرية: تمكن الباي حمودة من إستغلال كل الظروف لتنشيط الجهاد البحري في البحر المتوسط والمحيط الأطلسي وهذا ما مكن الدولة من أرباح طائلة في التجارة وكانت الغنائم المتحصل عليها متنوعة بين سلع وأسرى ، وبلغ النشاط البحري ذروته سنة 1791-1798، وكان هذا الباي يستعمل النشاط البحري لاستعراض قوة وصمود تونس أمام القوى الكبرى ووسيلة ضغط على الدول التي كانت تبحر في البحر المتوسط مثل السويد والدنمارك وأمريكا التي كانت تشتري الأمان لسفنها بإتاوات الأموال وكانت توزع الغنائم عن بواسطة شركة تكون فقط عندما يكون هناك رحلة في البحر وتحل مباشرة بعد توزيع الغنائم على الشركاء حسب مشاركة كل واحد في رأس المال والنصف من الغنائم يتقاضاها مجهز السفينة والنصف الاخر في شكل حصص حسب دورهم أثناء عملية الغزو[4].

ومن بين مداخيل النشاط البحري المال والعملة الصعبة ذات النوعية الجيدة وجميع المعدات الأساسية لصيانة وإعادة تكوين الأسطول والأسرى الذين يتم توظيفهم كقوة عاملة مثل رياس

و فباطنة وصانعي الأسلحة ، وعلى الرغم من تركيز هذا النشاط في طبقة أقلية فإن تداعياته الاقتصادية تهم فئات اجتماعية أخرى من رياس وتجار ووسطاء مسلمون وأجانب وأدى هذا النشاذ إلى انفتاح أكبر لتونس على البحر وخلق حركة مرور جديدة.[5]

---

[1] بوتوقامس حفيظة، مرجع سابق، ص 84.

[2] ناصر الدين سعيدوني،، الاوضاع الإقتصادية والاجتماعية والثقافية لولايات المغرب العثمانية(الجزائر-تونس-طرابلس- المغرب) من القرن السادس عشر حتى القرن التاسع عشر ميلادي ، مرجع سابق، ص39.

[3] رشاد الإمام، مرجع سابق، ص302،ص303.

[4] رزيقة حمدي، مرجع سابق، ص 94،ص95.

[5] -Guellouz,A. MASMOUDI , M.SMIDA, A.SAADAOUI , histoire générale de la Tunisie, les temps modernes(941-1247h/ 1534-1881) ,T3, sud Edition , Tunis, pp 116-117.

المطلب الثالث: الوضع الإجتماعي والثقافي:

أولا-الوضع الإجتماعي:

حسب التقديرات الرسمية بلغ عدد سكان تونس في العهد العثماني من 1.067.200 نسمة وينقسم هؤلاء السكان إلى أعراق مختلفة وهم: العرب، البربر، الأندلسيين، الكراغلة، اليهود ، الزنوج من السودان، الأوربيون، المالطيون ، الإيطاليون، اليونانيون، الفرنسيون والإنجليز[1]،

وانقسم المجتمع إلى قسمين سكان المدن وسكان الريف :

أ-سكان المدن:

1-الحضاريين :أو " البلديين" ويسكنون في العاصمة التونسية والمدن الساحلية والداخلية للبلاد.

2-اليهود: يعيش اليهود التونسيون مجمعين في حي "حارة" بالقرب من باب سويقة وتتمتع باستقلال إداري وديني ويخضعون لضريبة الجزية[2]، كما ظهر في المدن التونسية التجار اليهود المنحدرين من "ليفورنو" في قطاع التجارة البحرية للإيالة التونسية في السنوات الأولى من القرن 17م وانتقلوا إلى الإيالة التونسية لأنها تمثل مركزا مهما من المراكز التجارية المتوسطية بحكم موقعا الجغرافي[3].

3-الأندلسيين: بعد سقوط غرناطة سنة 1492م بدأت عملية التهجير القسري للأندلسيين، فتدفق الأندلسيين على الإيالات المغربية وتوجه أكثرهم إلى تونس سنة 1610م وكان عددهم حوالي 80ألف ومنحت السلطات التونسية لهم تسهيلات وامتيازات.[4]

4-الطبقة التركية الحاكمة: وهي تحتل قمة التسلسل الهرمي وهي التي تهيمن على المستوى السياسي متمثلة في الباشوات ، الدايات، البايات، أعضاء الديوان، القادة المحليون وأحفادهم كما تهمين على المستوى العسكري متمثلة في الميليشيا والضباط الكبار والأغوات وعلى المستوى الديني المفتون والقادة الحنفيون.[5]

5-الكراغلة: وهم المولدون من أباء أتراك وأمهات تونسيات الحكم العثماني، سمح لهم بالالتحاق بوظيفة الجند.

6-الأسرى: ارتبط وجودهم بنشاط البحرية وتكاثر عددهم في فترة قوة البحرية في القرنين 16م

---

[1] Charles Simon . Tunis et la Tunisie , legéne et oudin Editeurs, Paris, 1887, p34.

[2] - GUELLOUZ,A, ,Op. cit, pp141-142.

[3] رضا بن رجب، يهود البلاط ويهود المال في تونس العثمانية (1685-1857)، تقديم عبد الحميد الأرقش، ط1، دار المدار الإسلامي، 2010،ص52.

[4] الشافعي درويش، الجالية الأندلسية في تونس ودورها الحضاري، مجلة قبس للدراسات الإنسانية والاجتماعية، جامعة زيان عاشور، الجلفة ،المجلد4، العدد 1، ،2020، ص 686، ص687.

[5] A GUELLOUZ,A, Op.cit, p142.

و17م وكانوا يعملون في الحقول أو الاشتغال في ورشات البحرية وفي مشاغل الصناع والدكاكين والخدمة في المقاهي والحانات.[1]

7 -العبيد: كانت الأسر الأرستقراطية من البايات تعتمد على العبيد في الخدمة المنزلية، فضلا عن وجود سوق مركزية خاصة بالعبيد كسوق البركة وتتفاوت أسعارهم بحسب أصولهم وحسب درجة التعليم والتربية والصناعة.[2]

8-الجالية الأجنبية: إن استقرار التجار الأجانب في تونس يعود إلى القرن 17م ، حيث تم إنشاء القنصلية الفرنسية في تونس سنة 1577م والقنصلية الإنجليزية سنة 1655م، ثم أقيمت الفنادق لإيواء التجار الأجانب وبضائعهم ولاسيما الفنادق التابعة للفرنسيين والإنجليز والهولنديين.[3]

ب-جماعة الريف: وتصنف إلى عشائر المخزن وجماعات الرعية والقبائل الحليفة والممتنعة.

1-عشائر المخزن: كان لها صلاحية جباية الضرائب ومراقبة السكان والمشاركة في الحملات العسكرية مقابل نسل الأراضي والإعفاء من الضرائب غير الشرعية وكانت تتركز بالقرب من دواخل تونس وأهمها قبائل مخزن المزارقية.

2-جماعات الرعية: يقومون بخدمة أراضي الدولة كأجراء أو خماسين، وهي مطالبة بتقديم الجباية والمساهمة في خدمات التويزة لمصالح الدولة وملزمة بتنفيذ تعليمات قادة العشائر.[4]

3 -القبائل البعيدة عن نفوذ الحكام: والتي تتركز في المناطق الصحراوية سواءا كانت معاونة للسلطة أو معادية لها وهي تشكل تجمعات قبلية تتصرف حسب مصالحها ولا تتردد في إعلان العصيان في حالة إقدام الحكام على الحد من نفوذها ومنها قبائل الظهر التونسي.[5]

ثانيا-الحياة الثقافية:

كل سكان تونس مسلمين باستثناء أفراد الجالية الأوروبية المسيحية واليهودية[6]، وكان التعليم بجامع الزيتونة ينقسم لفرعين تعليم علوم الشريعة وتعليم العلوم الوضعية أما العلوم الشرعية فهي: تفسير القرآن، السنة النبوية، القراءات، التوحيد، والفقه، أما العلوم الوضعية فهي النحو، اللغة ،

---

[1] ناصر الدين سعيدوني، الاوضاع الإقتصادية والاجتماعية والثقافية لولايات المغرب العثمانية(الجزائر-تونس-طرابلس- المغرب) من القرن السادس عشر حتى القرن التاسع عشر ميلادي ، مرجع سابق، ص 54.

[2] إعداد مجموعة من الباحثين، المغيبون في تاريخ تونس الإجتماعي، تنسيق الهادي التيمومي، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، بيت الحكمة،1999، ص386.

[3] A GUELLOUZ,A.,OP.cit ,p 148.

[4] ناصر الدين سعيدوني، ، الاوضاع الإقتصادية والاجتماعية والثقافية لولايات المغرب العثمانية(الجزائر-تونس-طرابلس- المغرب) من القرن السادس عشر حتى القرن التاسع عشر ميلادي، مرجع سابق، 62.

[5] نفسه ،ص63.

[6] H.DUVEYRIER, la Tunisie , Paris, librairie hachette et cie, boulevard saint-germain, juin , 1881, p36.

المعاني، المنطق، التاريخ، الجغرافيا والحساب وكل واحد من هذين التعليمين يجرى في ثلاث درجات: ابتدائية ووسطى وعالية فالدروس الابتدائية يتحصل صاحبها على شهادة الأهلية

و تعليم الدرجة الثانية يمكن مزاوله من الحصول على شهادة التحصيل والتعليم العالي يمكن صاحبه من الحصول على شهادة العالمية وأصحاب هذه الشهادة يمكنهم طرق باب الوظائف العامة كالإمامة والقضاء والفتوى والإدارات[1].

وكان نظام الكتاتيب هو النظام السائد كانت التلاميذ يتلقون فيه العلوم الدينية وأصول النحو واللغة ، ومن أبرز علماء تونس في هذه الفترة الشيخ محمد بن أبي الفضل خروف الأنصارى التونسي ومحمد بن سلامة خطيب جامع الزيتونة[2]، وأسس مراد باي الثاني مدرسة عرفت بالمرادية في سوق القماش وأسس الباي حسين بن علي ثلاث مدارس: الحسينية سوق الكتبيين

و السليمانية ومدرسة بير الحجار ومدرسة حوانيت عاشور وبلغت عدد المدارس في تونس أواخر العهد العثماني عشرين مدرسة[3].

وبعد هجرة الأندلسسين إلى تونس استقبلهم الحاكم التركي عثمان داي وسمح للشخصيات الأدبية والفكرية أن تزاول حياتها في تونس وحين تولت الأسرة الحسينية الحكم إهتمت بالشعراء والأدباء ومن هؤلاء الشعراء ابن أبي دينار صاحب كتاب المؤنس في أخبار إفريقية وتونس ومحمد الوزير السراج صاحب كتاب الحلل السندسية .[4]

خاتمة الفصل:

نستخلص من خلال ما تم عرضه في الأوضاع العامة التي عرفتها البلدان الثلاثة أنه طرأ عليها عدة تغييرات، ومن أبرزها أن الجزائر عرفت تغيير مستمر في أنظمة الحكم أما من الناحية الاقتصادية فقد اعتمدت على الزراعة والصناعات التقليدية اما من الناحية الثقافية فقد اهتمت بعلوم القرآن عن طريق المساجد، كذلك الأمر بالنسبة لإيالة تونس التي كانت تحت حكم الأسرة الحسينية وكان لها اقتصاد مماثل للجزائر باعتبارهما إيالتين عثمانيتين ، أما المغرب الأقصى فمن الناحية السياسية شهد صراع على الملك بين الأبناء والأحفاد وهذا ما أدى إل ازدياد التدخل الأوروبي في المنطقة ، وعرف اقتصادها ازدهارا كبيرا بفضل خيرات السودان الغربي خاصة الذهب، وعليه يمكن القول أن البلدان الثلاثة(الجزائر، تونس، المغرب) عانوا في هذه الفترة سواءا سياسيا، اقتصاديا، إجتماعيا وثقافيا.

[1] محمد بن الخوجة، مرجع سابق، ص292.

[2] عبد المنعم الجميعي مرجع سابق، ص64.

[3] شوقي ضيف الله، مرجع سابق، ص173

[4] شوقي ضيف الله، مرجع سابق،ص216.

الفصل الأول

العلاقات الجزائرية المغربية (1830-1850)

تمهيد

تميزت كل من الجزائر والمغرب بموقع جغرافي استراتيجي جعلها تؤثر وتتأثر بجميع التطورات التي تحدث في العالم المحيط بهما، ما جعلهما عرضة للأطماع الاستعمارية خاصة بعد تدني مستوى السلطة الحاكمة فيها، مما أدى بهما إلى السقوط تحت الهيمنة الاستعمارية خاصة الفرنسية هذه الأخيرة التي تدخلت في شؤونهما الداخلية منها والخارجية باستعمالها لكل السبل والطرق لتوسيع من مشروعها الاستيطاني على حساب علاقاتهما سواءا السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وهذا ما سوف نوضحه من خلال دراستنا لأهم الأحداث التي مرت بها العلاقات القائمة بين البلدين والتي تراوحت بين السلم والود تارة وبين التوتر والقطيعة تارة أخرى وهو ما سعت إلى تحقيقه السلطة الفرنسية. وهذا من خلال ثلاث مباحث كالتالي:

المبحث الأول: العلاقات السياسية بين الجزائر والمغرب الأقصى.

المبحث الثاني: العلاقات الاقتصادية الجزائرية المغربية.

المبحث الثالث: العلاقات الاجتماعية والثقافية بين الجزائر والمغرب.

المبحث الأول: العلاقات السياسية بين الجزائر والمغرب الأقصى

نظرا لطبيعة العلاقة التاريخية الرابطة بين شعبي المغرب الأقصى والجزائر من حيث تبادل يد العون لبعضهما خاصة أيام الحروب، هذا ما دفع بلجوء القادة الجزائريين من بينهم الزعيم الثوري عبد القادر لمساندته في القضاء على المستعمر الفرنسي.

المطلب الأول: دعم السلطان المغربي عبد الرحمن لمقاومة الأمير عبد القادر

نتيجة للفراغ السياسي الذي نجم عن زوال وجود الدولة التركية من الجزائر يوم 05 جويلية 1830[1]، أصبحت البلاد الجزائرية في وضعية جد مضطربة، فساد عدم الاطمئنان والشعور بالخطر مما وجب ضرورة تعبئة الطاقات لمجابهة العدو الفرنسي والتصدي له بحزم وفعالية.

وأمام هذا الوضع طلب سكان غريس من الشيخ محي الدين، أن يقود أبناء وطنه نحو الدفاع عنه لكن كبر سنه آل دون تحقيق هذه الغاية، مما دفعه إلى عرض عليهم بيعة ابنه الأمير عبد القادر، لما أظهره من شجاعة وحنكة دينية وحسن تدبيره في أغلب المعارك التي شارك فيها بجانب أبيه محي الدين فكان أول لقاء معه ضد القوات الفرنسية عند أسوار مدينة وهران، وهذا ما أهله ليتولى قيادة الجهاد، فبويع عبد القادر على الجهاد عند شجرة الدردارة بسهل غريس في رجب 1248 هـ/27 نوفمبر 1832.[2]

ويعتبر ظهور الأمير عبد القادر نقلتا نوعية في ممارسة السلطة في تاريخ الجزائر، أساسها رغبة الشعب وقوامها اعتماد الأمير عبد القادر على تأييدهم والتفافهم حوله، وهذا ما تم تأكيده أيضا خلال البيعة الثانية في 04 فيفري 1833م، هذه الأخيرة التي اتخذت طابعا وطنيا وصبغة شرعية لكونها شملت العديد من قبائل المغرب الأوسط.[3]

وبعدما بويع عبد القادر أميرا عمد إلى توسيع مجال سلطته نحو تلمسان والمدية وملیانة (1832م- 1834م)[4]، ومن هنا عمل جاهدا لبناء مؤسسات دولته الجزائرية الحديثة واتخاذ من معسكر عاصمة له في البداية، كما اتسم حكمه بالسمة الديمقراطية والقيادة الرشيدة.[5]

---

[1]– محمد السنوسي، الرحلة الحجازية، تحقيق: علي الشنوفي، الشركة التونسية للتوزيع، ج1، تونس، 1978م، ص 181

[2]– ناصر الدين سعيدوني، عصر الأمير عبد القادر الجزائري، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، الجزائر، 2000م، ص 158

[3]– ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص ص 204-206.

[4]– محفوظ سماني، العلاقات الخارجية (امتداد لشرعية دولة الأمير عبد القادر)، أعمال ملتقى حول الأمير عبد القادر، دار الحكمة، الجزائر، 1998م، ص ص 131-135.

[5]– أوصديق فوزي، الوسيط في النظم السياسية والقانون الدستوري (دراسة مقارنة)، دار الكتاب الحديث، الجزائر، 2000، ص 12

تمكن الاستعمار الفرنسي بقيادة كلوزيل من احتلال مدينة معسكر في 03 ديسمبر 1835م، وعلى الرغم من خروج المستعمر منها مجددا[1]، إلا أن الأمير عبد القادر قرر نقل عاصمته إلى نقطة تكون بعيدة عن التواجد الفرنسي، حيث وقع اختياره على مدينة تاقدمت، التي انطلقت أشغال البناء فيها حسب ما ذكره تشرشل في ماي 1836م[2].وبالتالي فقد وضع الأمير اللبنات الأولى لدولته الحديثة، فأنشأ تنظيما إداريا محكما يقوم على نظام المقاطعات[3]، وأنشأ مخازن كبيرة في تلمسان وملیانة والمدية وتاقدمت، وعين وكلاءه في وهران ومستغانم، كما أرسل مبعوثين إلى الجزائر لجلب الأوروبيين من أجل تدريب الجيش على استخدام الأسلحة وأقام دار السكة في تاقدمت.[4]

كل هذه الاستعدادات لبناء دولة تقوم على أساس منظم ، لم يوقف فرنسا الى السعي للقضاء على كل محاولة للتقدم الأمير لتحقيق أهدافه الوطنية ، فقامت بالتحضير والتخطيط بجل مقاومته فانتهجت أسلوب سياسة الأرض المحروقة والإبادة الجماعية وتوسيع صلاحيات المكاتب العربية حيث استطاع الجنرال بيجو (Thomas Robert Bugeaud)(1784م-1849م) بذلك تحقيق عدة انتصارات على الأمير عبد القادر في مراحله الأخيرة.[5]

مما زاد من التعب النفسي للأمير عبد القادر هو سقوط عاصمته المتنقلة "الزمالة" التي كانت تضم حوال 30 ألف من أفراد عائلته والقبائل التي بقيت وفيه له[6]، وكانت تقوم على حمايتها 05 آلاف جندي نظامي[7] وهي تمتد من نبع طاقين إلى سفح جبل عمور[8].

وأمام الخسائر الجسمية التي شهدها يوم 16 -18 ماي 1843م، حيث بلغ عدد الشهداء ما يزيد في 300 رجل وأسر 03 آلاف شخص من بينهم عائلة محمد بن علال بن مبارك وابنه الميلود بن عراش، وعائلة الخروبي، واستلاء الدوق دومال (Duc D'Aumale)على خزائن بيت المال[9]، رغم كل هذا استطاع

[1]– بوعزيز يحي، ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، 1996م، ص 40.

[2]– تشرشل شارل هنري، حياة الأمير عبد القادر، ترجمة: أبو القاسم سعد الله، الدرار التونسية للنشر، تونس،1964م، ص 137.

[3]– أحمد بن عبد الله الشقراني، القول الأوسط في أخبار بعض من حل بالمغرب الأوسط، تقديم: ناصر الدين سعيدوني، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1991م، ص56.

[4]– دحدوح عبد القادر، سكة الأمير عبد القادر الجزائري بين النصوص التاريخية والشواهد الأثرية، مجلة دفاتر البحوث العلمية، المركز الجامعي لتيبازة، مج01، العدد،01، تيبازة، الجزائر،2003، ص163.

[5]– أديب حرب، التاريخ الإداري والعسكري للأمير عبد القادر (1808–1847)، ج2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1993، ص ص 505.

[6]– بقبق زهرة، الأمير عبد القادر في الأسر (1849–1852)، مذكرة ماجستير في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، 2010/2009، جامعة وهران، وهران، الجزائر، ص 26.

[7] - Enfantin. Barthélémy-Prosper, colonisation de l'Algérie, P.B.L, Paris,1843, p 402.

[8] - Elexandre Bellemare, Abdelkader sa vie politique et militaire, EB Alger, pp 141- 253.

[9] - Dupin .CH, Notice sur l'expédition qui s'est terminée par la prise d'Abdelkader, le 16 mai 1843 de la smala, vinchon imprimeur des musées royaux, Paris, France, 1845, p 09.

الأمير عبد القادر الاستمرار والمواصلة حتى سنة 1847م، حيث أعاد تكوين عاصمته تحت اسم الدائرة، وهذا راجع إلى قلة عدد سكانها، والتي انتقل بها إلى الحدود المغربية أين أقام حول نهر ملوية وراء جبل بني سناسن[1].

1- العلاقة الودية بين السلطان المغربي والأمير عبد القادر:

مثلت علاقة الأمير عبد القادر والسلطان المغربي عبد الرحمن علاقة بلدين تجمعهما أواصر الأخوة والتاريخ والدين واللغة المشتركة والجوار الطويل، قبل أن تكون علاقة مساندة ومساعدة حربية بين بلدين عربيين شقيقين[2]، والدليل على تبادل الود بين الأمير والسلطان من خلال ما ذكره ابن التهامي في في قوله: "....إن أهل ناحيتنا هذه اتفقوا أشرافا وعلماء وأهل العقد والحل على ولايتنا وملازمته بيعتنا....."، وأجابه السلطان بألطف العبارات عن قبوله:"....إن أهل الوطن أصابوا وما غلطوا وعلى الخبير سقطوا والله يعينكم ويحفظكم والسلام..."[3]، وهذا ما يبرر إعجاب السلطان عبد الرحمن والمغاربة بالأمير الشاب المجاهد[4].

وبعد دخول الأمير إلى مدينة تلمسان قام بتعيين أحد أعيان الحضر في منصب خليفة[5]، هذا التصرف أغضب السلطان المغربي لطرد ممثله بن نونة المغربي مما دفعه لمصادرة كل القوافل المتجهة إلى الجزائر[6]، لكن الأمير بادر حسب رواية المؤرخ دي بريسك (Du Henri Bresc) (ت م: 1939م) إلى الصلح فأرسل وفدا إلى فاس محملا بالهدايا للسلطان مع تنصيب الأمير لبنونه في منصب يليق به[7].

لم يقف الأمير عبد القادر إلى هذا الحد من التقدم بل استغل فرصة الهدنة بعد توقيع معاهدة دي ميشال في 26 فيفري 1834م ليتفرغ للقضاء على المتمردين خاصة مصطفى بن إسماعيل الذي سعى إلى فرنسا لتعينه مكان الأمير الجزائري غير أن دي ميشال رفض طلبه وساند الأمير عبد القادر ليقضي عليه الأمير في 12 جويلية 1834م[8].

---

[1]– أديب حرب، المرجع السابق، ص 440.

[2]– عز الدين بن سيفي، العلاقات الجزائرية المغربية على عهد الأمير عبد القادر الجزائري والسلطان عبد الرحمان المغربي، مجلة كلية التربية الأساسية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية، جامعة بابل، العدد 29، العراق، 2016، ص 50.

[3]– مصطفى بن تهامي، سيرة الأمير عبد القادر وجهاده، ترجمة يحي بوعزيز، دار البصائر للتوزيع والنشر، الجزائر، 2009، ص131

[4]– إسماعيل العربي، المقاومة الجزائرية تحت لواء الأمير عبد القادر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، ص267

[5]– محمد مكاوي، جوانب من المقاومة الوطنية في تلمسان ونواحيها (1830– 1930م)، مجلة الحكمة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة تلمسان، مج04، العدد 08، السداسي الثاني، تلمسان، الجزائر، 2016، ص292.

[6]– عز الدين بن سيفي، العلاقات الجزائرية المغربية (1830– 1912م)، رسالة دكتوراه في تاريخ المغرب العربي الحديث والمعاصر، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر، 2017–2018م، ص ص 102–103

[5]-Philippe de cossé Brissac, les rapports de la France et du Maroc pendant la conquête de l'Algérie (1830-1847), la rose, Paris,1931, p37

[8]– إسماعيل العربي، المرجع السابق، ص61.

2- مساندة السلطان المغربي للأمير عبد القادر في مواجهة فرنسا:

شهد الأمير عبد القادر عدة انتصارات على العدو الفرنسي، مما أدى إلى عزل كل من الجنرال تريزيل (Camille Alphonse Trézel) (ت و:1860 م)والحاكم العام ديرليون (Durleon)، وتعيين الماريشال كلوزيل حاكما عاما على الجزائر في نهاية جويلية 1835م[1]، الذي عمل على توجيه كل ثقله للقضاء على مقاومة الأمير في منطقة وهران[2].

وعند بلوغ خبر انتصار الأمير عبد القادر في معركته ضد المستعمر للسلطان عبد الرحمن بادر هذا الأخير بالتبجيل لهذا النصر فقال: "... ليتني كنت معكم فأفوز فوزا عظيما... "، غير أن هذا الانتصار لم يدم طويلا بسب سعي الماريشال كلوزيل (**Bertrand Clauzel**)(1772م-1842م)في نهاية شهر جويلية 1835م على وضع خطة لمنع وصول الإمدادات عن طريق البر والبحر، فاحتل بذلك موانئ جزيرة أرشقول، وسقوط تلمسان في13 جانفي1836م في يد المستعمر واستسلام الأمير[3].

انطلق بيجو في 12جوان 1836م، بحامية عسكرية ضخمة مدعما بالخائن ابن إسماعيل لفك الحصار على دار لانج في قاعدة أرشقول، أين انهزم الأمير عبد القادر في موقعة سكاك[4]، وبعدها أتت معاهدة تافنة في30 ماي1837م لترتيب أمور كلا الطرفان، أما السلطان عبد الرحمن فيظهر أنه لم يكن موافقا على المعاهدة التي أبرمها الأمير مع الفرنسيين، من خلال مجموع الرسائل المتبادلة بينه وبين الأمير، إلا أنه غير موقفه مع مرور الوقت بدخول الأمير إلى تلمسان في 24 جويلية 1837م، فاحتفل المغاربة بهذا النصر لمدة 03 أيام[5] بالإضافة إلى تأييده للأمير خلال حملته التأديبية ضد المتمردين بقيادة التيجاني في قصر عين ماضي[6].

ومعاهدة تافنة كغيرها لم تدم طويلا وانتهت بنقضها من قبل الفرنسيين، وأمام هذا التصرف راسل الأمير عبد القادر كلا من الجنرال فالي والملك الفرنسي لويس فيليب اللذان التزما الصمت، وبهذا الموقف أيقن الأمير أن الحرب قد أوشكت حيث سانده السلطان مرة أخرى بتقديم له كل الإمدادات الحربية وعدم رضوخه لتهديدات فرنسا بسبب مساعدته للأمير عبد القادر.

---

[1]– يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص ص39-40.

[2]– يحي جلال، المغرب الكبير –العصور الحديثة وهجوم الاستعمار–، ج3، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ص146.

[3]– تشرشل شارل هنري، المصدر السابق، ص104.

[4]– يحي بو عزيز، المرجع السابق، ص 42.

[5]– عز الدين بن سيفي، العلاقات الجزائرية المغربية (1830– 1912م)، المرجع السابق، ص108.

[6]– نزار أباظة، الأمير عبد القادر الجزائري –العالم المجاهد –، ط1، دار الفكر، دمشق، سوريا، 1994، ص11.

3- أهم البعثات والمراسلات بين الأمير الجزائري والسلطان المغربي:

نتيجة للتواصل المستمر والداعم بين الزعمين وعلاقة الود والصداقة والمساندة المالية والمعنوية، كل هذا تمخض عنه عدة مراسلات وبعثات كان لها الدور الرئيسي في استمرارية العلاقات بين الطرفين المغربي والجزائري ضد المستعمر الغاشم؛ فقد تنوعت بين بعثات التهاني ورسائل الشكر، كما نجد رسائل الاستشارات الحربية والدينية، كلها احتوت على عبارات وألفاظ مشبعة باللطف والمسايرة الحسنة.

ففي رسالة بعث بها السلطان الى الأمير أوردها صاحب الابتسام أبي العلاء إدريس يهنئ فيها السلطان الأمير على إحدى انتصاراته: "... محل الولد البار الأحظى المجاهد الأرضى السيد عبد القادر بن محي الدين، أمدك الله بالعون واليقين ..." ومن جهة كان الأمير يستشير السلطان المغربي كلما دعت الضرورة إلى ذلك[1]، كما تبادل الطرفان رسائل تهنئة العيد أهمها: بعثة "هدية العيد" سنة 1836م التي وجهها الأمير إلى السلطان، فأحسن السلطان وفادتهم، وكتب لهم عند رجوعهم كتابا إلى بني قيل، ذوي منيع، العمور، وأنجاد يأمرهم أن يعينوا الأمير في الجهاد، كما بعث الأمير بعثة أخرى تحدث عنها صاحب التحفة الزائر:"..... وتأكيدا لمحبته أمر بتجهيز هدية عظيمة ذات قدر وقيمة واختار السيد ابن عبد الله السقاط لإيصالها إلى السلطان عبد الرحمن بن هشام لإحكام عرى المحبة بينهما ..."[2].

ومن خلال هذه البعثات والمراسلات نجد مدى متانة وعراقة الصلة الرابطة بين السلطان المغربي عبد الرحمن والأمير عبد القادر، أنها علاقة ودّ ومحبة وتحقيق لواجب وطني فرض على الشخصيتين لتحقيقه وجلب السلم والأمان لبلديهما[3] . (انظر الملحق رقم 4)

المطلب الثاني: استراتيجية فرنسا في تاريخ الدعم المغربي للجزائر

إن السياسة التوسعية التي انتهجتها فرنسا، جعلتها تستعمل كل السبل للقضاء على أي مقاومة تعترضها، إلا أن مقاومة الأمير عبد القادر شكلت لها عائقا قويا خاصة بعد الدعم المغربي لها، ما دفع فرنسا إلى تجنيد أقوى جنيرالاتها لإفشالها والقضاء عليها.

1- سقوط الزمالة ولجوء الأمير إلى المغرب:

بعد تولي الجنيرال بيجو منصب حاكم عام في الجزائر في 22 فيفري 1841م بدلا من الجنرال فالي **(Sylvain Charles Valée)**(1773م-1846م) الذي لم ينجح في إفشال المقاومة الجزائرية، هذا الأخير

[1]– عبد الرحمان ابن زيدان، إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس (1290ه –1365ه)، تحقيق: علي عمر، ط01، ج05، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر، 2008، ص64.

[2]– محمد بن عبد القادر، تحفة الزائر في مأساة الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر، ج1، المطبعة التجارية الإسكندرية، 1903، ص 206.

[3]– عز الدين بن سيفي، العلاقات الجزائرية المغربية (1830– 1912م)، المرجع السابق، ص 112.انظر الملحق رقم 02

الذي علقت عليه فرنسا كل آمالها للقضاء على دولة الأمير عبد القادر[1]. فعمل بيجو جاهدا لتحقيق ذلك منتهجا سياسة الأرض المحروقة وسياسة فرق تسد، والإبادة الجماعية، وإقامته لمجلس حربي وضع فيه جل إجراءاته واستعداداته الحربية المستقبلية[2].

توجه بيجو في 25 ماي1841م إلى تاقدمت أين وجدها خالية من السكان، وهذا راجع لتفطن الأمير عبد القادر لخطته، فأمر بيجو بحرق حصونها، ثم بعد ذلك قام بتخريب بوغار وسعيدة وتازة[3]. وبعدها توجه إلى مليانة أين لقي فيها هزيمة كبيرة أمام الأمير عبد القادر، ولما رجع إلى الجزائر قام بتقسيم جيوشه على الثغور، فعين الجنرال بركوباي ديلي (**Parcobay Delu**)على الجهة الشرقية، والجنرال بارتسمي (**Part sami**) على الجزائر، والجزء الأكبر في مستغانم مع الدوق دومال، وأخوه الدوق دوتيمور(**Dotimore**)، وضم إلى جيشه جيش وهران، وبعدها سار إلى تاقدمت واستولى عليها، وفي طريق العودة نصب له الأمير كمينا عند مضيق "عقبة خدة" ومضيق "فرقوق" حيث كانت خسائر الطرفين. ورغم هذا واصل بيجو مخططاته باستهداف كل المناطق الاستراتيجية كمعسكر وتلمسان، لكنه لم يلحق بالأمير الذي توجه إلى أراضي المغرب الشرقي في شهر مارس 1842م [4].

رغم هذا لم ينجح بيجو في إخضاع جل القبائل التابعة للأمير عبد القادر، أمثال: فرسان الحشم والشراقة والغرابة، كما عقد مجلسا حربيا بمعسكر وقسم الجنود إلى ثلاثة أقسام: فالأول بقيادة المارشال بيجو مركزه نواحي شلف، والثاني بقيادة الجنيرال شانغارييه[5](**Changrarie**) مقره البليدة، أما الثالث فبقيادة الجنيرال لامورسيير(**Lamorciere**) مركزه معسكر، وفعلا تكمن بيجو من إضعاف حركة الجهاد، مما دفع الأمير إلى تكوين الزمالة المتنقلة[6]، لكن هذه الأخيرة تم القضاء عليها بمساعدة الخائن عمر بن فراخ أغا قبيلة بن عياد فسار بذلك الدوق دومال إلى قوجيلة ، ومن ثم نحو نبع طاقين[7] أين خسر فيه الأمير أعظم قادته من بينهم: السيد محمد بن علال، السيد محمد الخروبي، والسيد قدور بن رويلة، وأمام هذه الهزيمة لعب الأمير دوران: دور المساند لما خسره جيشه، ودور القائد المتوعد بالانتقام[8].

---

[1]– تشرشل شارل هنري، المصدر السابق، ص 247.

[2]– محمد بن عبد القادر، المصدر السابق، ص ص: 143–250.

[3]– تشرشل شارل هنري، المصدر السابق، ص 249.

[4]– محمد بن عبد القادر، المصدر السابق، ص ص 258– 261.

[5]– بسام العسلي، الأمير عبد القار (1807–1883)، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2010، ص 141.

[6]– محمد بن عبد القادر، لمصدر السابق، ص ص 278–279.

[7]– أديب حرب، المرجع السابق، ص 431.

[8]– محمد بن عبد القادر، المصدر السابق، ص ص 280–281.

توجه الأمير إلى الأراضي المغربية بسبب الضغوط المترتبة على كاهله، فاختياره هذا لم يكن فقط فرارا من العدو بل بدراسة من المقاوم الجزائري وهذا بسبب عجز القبائل عن مساعدته بعد دخول أغلب شيوخها من طاعة الفرنسيين، كما أن تمركزه في المغرب سيمكنه من إعادة بناء دولته مرة أخرى بفضل المساندة التي لقيها من القبائل المغربية، التي ساهمت في بعثت الطمأنينة في نفوس المهاجرين الجزائريين بالإقامة

في بلاد المغرب[1].

2- المساعدة المغربية للأمير عبد القادر:

كما تم ذكره سالفا لم يتوقف السلطان عبد الرحمن من مؤازرته لكل ما يقوم به الأمير عبد القادر من أعمال قتالية ضد المستعمر الفرنسي، بالإضافة إلى احتضان الإخوة المغاربة جهاده[2] لاسيما قبيلة بيزناسن وأهل وجدة والريف[3]، وهذا نلمسه من خلال أهم المساعدات التي قدمها المغرب في هذا هذا المجال الحربي ضد المستعمر الفرنسي تلك التي بعث بها السلطان عبد الرحمن إلى الأمير عبد القادر، حيث قدرت المساعدات في سنة 1833م بـ 100 بندقية، ومثل هذا العدد من السيوف، وكميات الذخيرة. كما لعب الأمير المغربي "الطيب بن جلول" دورا كبيرا في تزويد الأمير بالأسلحة[4].

كان للأمير ممثلا خاصا في إسبانيا وهو "نويل مانونتشي" (**Noel Manotchi**)الذي ساهم في التعاملات الخارجية للأمير عبد القادر، وكان له دور في تزويد الأمير بالأسلحة والذخيرة التي كان يشتريها من الموانئ الاسبانية ويبعثها للأمير عبر المغرب الأقصى، ففي 04 جويلية سنة 1838م وصلت إلى تاقدمت قافلة تضم مائة برميل من الذخيرة من طرف هذا الأخير، فيما تلقى الأمير سنة 1841م شحنة من الأسلحة من المغرب تقدر بنحو ألف بندقية وبعض الحمولات من البارود، كما كان الأمير يحصل على الأسلحة عن طريق الشراء أو التهريب حيث كانت تأتي من جبل طارق وتمر عبر الحدود بمساعدة السلطات المغربية أو بتواطؤها [5].

[1]– أديب حرب، المرجع السابق، ص 451.

[2]– محفوظ قداش، جيش الأمير عبد القادر وتنظيمه وأهميته، ترجمة: حسن بن مهدي، مجلة الثقافة عدد خاص بالذكرى المئوية لوفاة الأمير عبد القادر، منشورات السهل، العدد 13، الجزائر، ماي–جوان، 1983، ص 69.

[3]– عبد الكريم منصوري بن عوف، حوار مع الأمير عبد القادر، دار القدس العربي للنشر والتوزيع، وهران، 2012، ص 124.

[4]– العيد فارس، طبيعة العلاقات الجزائرية مع المغرب الأقصى وتونس (1830م–1847م)، مجلة عصور الجديدة، كلية العلوم الإنسانية والعلوم السياسية، جامعة وهران، مج05،العدد 20/19، خريف أكتوبر (1436هـ/1437هـ– 2015م) ،وهران، الجزائر، ص 332.

[5]– إسماعيل العربي، المرجع السابق، ص268.

هذا بالإضافة إلى تواجد العنصر المغربي في جيش الأمير عبد القادر[1]، وما سجله أيضا القنصل "دونيو"(**Donio**)عندما قال: "من المؤكد أن حمل عبد القادر للسلاح ولد لدى المغاربة شعورا عبروا عنه بالتعاطف، كما أدى إلى تصاعد واضح لنزعة التعصب، فتسابق المسلمون على كل المستويات إلى أداء الواجب الذي يفرضهم عليهم دينهم للإسهام في إنجاح الجهاد"[2].

كما لا ينسى فضل العلماء المغاربة، حيث كان الأمير يستفتي علماء فاس في أمور الدين، فمن بينهم العالم الفقيه "أبو الحسن علي بن عبد الله السلام التاسولي"[3]هذا من جهة، كما لا ننسى الحماية والأمن التي وفرها الأمير للمغرب من خلال حماية تجارتها وقوافلها المارة بين بلاد السودان الغربي وفاس[4].إلا أن هذا التفاهم والطمأنينة التي سادت كلا الطرفان، ما لبث أن شابهما التوتر والانفصال نتيجة استراتيجية فرنسا التي تسعى جاهدة لتطبيقها مهما سنحت لها الفرصة.

3- تأثير الضغط الفرنسي على السلطان عبد الرحمن:

بعد الانهزام الذي شهده الأمير عبد القادر كما تم ذكره سابقا في معركة طاقين في ماي 1843م، وسقوط عاصمته المتنقلة. لجأ بعدها إلى مراكش بعد مطاردة دامت سبعة شهور، ومن خلالها بدأ يشن هجوماته على القوات الفرنسية[5].

من هنا بدأت السلطات الفرنسية تضغط بشدة على السلطات المغربية حيث قام الجنرال بيجو بمراسلة عامل وجدة علي بن الكناوي يطلب منه منع الأمير عبد القادر عبور الحدود[6]، كما قدم بدوره قنصل فرنسا بطنجة احتجاجين بلهجة شديدة في 14 أفريل والثاني في 14 ماي 1842م يطالب من خلالهما بمنع الأمير عبد القادر عبور الحدود والعودة إلى الجزائر.

لكن رد السلطان المغربي لم يكن لصالح السلطات الفرنسية وأن بلاد الريف أصبحت تحت طاعة الأمير عبد القادر[7]، هنا أدرك بيجو خطورة الاتفاق المغربي الجزائري، فكان أول تدخل لفرنسا هو ما طلبته من السلطان عبد الرحمن برسم الحدود بين البلدين في شهر جويلية 1842م، والذي

---

[1]– أدريان بيربر وجير، مع الأمير عبد القادر" رحلة وفد فرنسي لمقابلة الأمير في البويرة (1837–1838)، ترجمة: أبو القاسم سعد الله، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م، الجزائر، 2005، ص72.

[2]– رفيق تلي، العلاقات الجزائرية المغربية– دراسة في موقف المغرب الأقصى من الاحتلال الفرنسي للجزائر والمقامة الجزائرية–، مجلة الذاكرة، جامعة سعيدة (مولاي الطاهر)، مجلد 10، العدد 01، سعيدة، الجزائر، 2022، ص 192.

[3]– أبو العباس أحمد بن خالد الناصري، الاستسقاء لأخبار دول المغرب الأقصى، ترجمة وتعريب: جعفر الناصري، محمد الناصري، ج 3، دار الكتاب العلمية، بيروت، لبنان، 2007، ص290.

[4]– إسماعيل العربي، المرجع السابق، ص 268 .

[5]– يحي بوعزيز، المصدر السابق، ص ص 49 – 50.

[6]– محمد بن عبد القادر، المصدر السابق، ص ص 288 – 289.

[7]– إسماعيل العربي، المرجع السابق، ص ص 238 – 239.

قوبل بالرفض من قبل السلطان المغربي، مما دفع السلطات الفرنسية برسم الحدود المغربية الجزائرية دون علم أو استشارة المغاربة، كما طالبت باعتقال الأمير عبد القادر وسجنه في إحدى المدن المغربية[1]، فكان الرد مرة أخرى رفض هذا القرار، مما دفع السلطات الفرنسية بقيادة لامورسيير باحتلال مقام لالة مغنية وهدمه، مما أثار هذا التصرف حفيظة السلطان المغربي فأعلن الجهاد ضد الفرنسيين[2].

فبعث إلى عامله في وجدة علي بن الكناوي أن يخاطب الفرنسيين في هذا الأمر، ويشير عليهم بالارتحال من مقام السيدة مغنية، فلما بلغهم رسول العامل استهزؤوا به، فكان الرد المغربي هو مواجهة المستعمر في أول واقعة باءت بخسارة الجيش المغربي[3].

أ - احتلال وجدة:في يوم 19 جوان 1844م قام بيجو باحتلال وجدة، وهذا ردا على تماطل السلطان المغربي في الإجابة على ما اشترطه عليه من أجل إضعاف مقاومة الأمير عبد القادر، وهذا بعد فشل المفاوضات مع الجنيرال بيدو[4]، كما ضاعفت فرنسا من قواتها البحرية على السواحل المغربية بقيادة جوانفيل في11جوان 1844م. وأمام كل هذه الضغوطات التي مارستها فرنسا على السلطان المغربي واصل في مساندته للأمير، حيث طمأن ولي عهد السلطان المغربي للأمير بمواصلة دعمهم له[5]. ومن هنا دخل المغرب في مواجهة حتمية مع القوات الفرنسية.

ب- معركة إيسلي: بعد تجهيز ولي عهد السلطان المغربي محمد جيشه لمواجهة المستعمر، التقى بالأمير عبد القادر بواد إيسلي، حيث بادر هذا الأخير بتقديم نصائح حربية وذلك بإخفاء كل مظاهر السيادة التي تدل على مكان ولي العهد، لكن هذه النصائح لم يعمل بها خليفة السلطان المغربي، ضف إلى خطئه في وضع خطته الحربية، حيث استعمل أسلوب الهجوم لا أسلوب الدفاع، مما أدى لهزيمة كبيرة للمغاربة في معركة إيسلي يوم 14 أوت 1844م[6].

وأمام هذه الهزيمة وجد السلطان نفسه غير قادر على مواصلة الحرب فمال إلى الصلح مثلما مالت فرنسا إلى ذلك وتم عقد الصلح بينهما في يوم 12 سبتمبر 1844 والذي سمي «باتفاقية طنجة" مدعمة باتفاقية لالة مغنية في 18 مارس 1845م والتي تم بموجبها رسم الحدود الجزائرية المغربية، والتي كانت لبنة الأولى للقضاء على مقاومة الأمير والقبض عليه وسجنه في المملكة المغربية[7].. ومن هنا

[1]– المرجع نفسه، ص 242.

[2]– بسام العسلي، الأمير عبد القادر (1807–1883)، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2010، ص 146.

[3]– محمد بن عبد القادر، المصدر السابق، ص 290.

[4]– أديب حرب، المرجع السابق، ص 462.

[5]– أبو العباس أحمد بن خالد الناصري، الاستسقاء لأخبار دول المغرب الأقصى، ج 9، المصدر السابق، ص 50.

[6]– المصدر نفسه، ص 51.

[7]– رفيق تلي، المرجع السابق، ص ص 193–194.انظر الملحق رقم 01.

بدأت العلاقات تتدرج نحو الابتعاد والانفصال بين البلدين الشقيقتين بعد التلاحم الأخوي بين الشعبين الأخويين.

المطلب الثالث: تأزم العلاقات بين السلطان والأمير

رغم الجهود التي بذلها الأمير عبد القادر للمحافظة على علاقته الودية مع السلطان عبد الرحمن، إلا أن تصرفات هذا الأخير معه حالت دون ذلك، وهذا ما سوف نوضحه من خلال التطرق أولا إلى تأليب القبائل المغربية ضد الأمير عبد القادر، وثانيا: مصير قبائل بني عامر المساندة للأمير عبد القادر، وثالثا إلى التصادم المغربي الجزائري ونهاية علاقة الحاكمين العربيين.

1- تأليب القبائل المغربية ضد الأمير عبد القادر:

إن توقيع السلطان المغربي على اتفاقية طنجة، واعترافه بحق فرنسا في الجزائر واعتبار أن الأمير الجزائري خارج عن القانون وتعهده باعتقاله وسجنه كل هذا لم يغير صورته السوية أمام المغاربة أنه بطلا وطنيا مشبعا بالروح الوطنية والدينية، والدليل في ذلك استعدادهم لمساعدته ومساندته، كما كانوا مستعدين حسب ما ذكر في كتاب برونو أتيين: لتنصيبه بدل السلطان المغربي عبد الرحمن[1] وما ذكر أيضا في تحفة الزائر عرض بعض القبائل البيعة للأمير وخلع السلطان ".....فقبل سلطان مراكش هذه الشروط وتقرر الصلح ولما شاع هذا الأمر في نواحي المغرب الأقصى وسارت الركبان بما وقع لجيوشهم وجموعهم مع الفرنسيين، كبر عندهم ذلك ونسبوا المعرة فيه إلى سلطانهم وقواد الجيوش، وكثر القيل والقال، واتفق أكثر القبائل على الانتفاض على السلطان، وإعطاء الطاعة للأمير لما كانوا يسمعون عنه من الإقدام والشجاعة والقيام بأمور الجهاد ...فكاتبوه في ذلك ..."، لكن السلطان لم يقبل ذلك بقوله: ".....إني دخلت بلاد السلطان لا لأكون ضده، أو لنأخذ منه ملكه..."[2] وهذا القول أكده أيضا تشرشل ".... لقد رفضت ما عرضه المغاربة علي ليس فقط لأن ديني يمنعني من مضرة حاكم اختاره الله وعينه..."[3].

استغلت فرنسا في هذه الآونة هذا التأييد المغربي للأمير لزرع الشكوك في نفس السلطان حول أن الأمير له الرغبة والطمع بعرش المغرب ،كما أن الأمير ينوي إنشاء سلطة مستقلة، والقضاء على الأسرة العلوية وتنصيب حكم بني هاشم وذلك عن طريق ثورة عاتية ضد السلطان المغربي.[4]

[1] – برونو إيتين، الأمير عبد القادر الجزائري، ترجمة: ميشل خوري، ط01،دار عطية للنشر، بيروت، 1997م، ، ص230.

[2] – محمد بن عبد القادر، المصدر السابق، ص 292.

[3] – هنري شرشل، المصدر السابق، ص 225.

[4] – يحي جلال، المغرب الكبير العصور الحديثة وهجوم الاستعمار، ج03، دار النهضة العربية، بيروت، 1981م، ص177.

وحتى ينفي الأمير كل هذه الاتهامات الموجهة ضده بأطماعه في العرش، حاول بدوره أن ينفيها ويبادر بتوضيح الأمور للسلطان، مما راسله أن كل ما نسب إليه من بهتان فهو ظلم وإشاعة وتحريض على فك العلاقة الأخوية، وكذلك طمأن السلطان أن ليس له أي طمع في عرشه.[1]

لم يتوقف السلطان عن مضايقة الأمير عبد القادر وهذا فقط لإرضاء السلطات الفرنسية، فقام بتشويه سمعة الأمير أمام القبائل المساندة له، فقد وجه عدة رسائل إلى القبائل كقبائل بني يزناسن وأهل أنكاد ".... أن ذلك الفتان جرّ البلاد لأهل الواسطة حتى جرأ عدو الدين عليها ...، واحتمى بكم وجعلكم حجابا بينه وبينهم ليجر لكم الفتنة والوبال ويرميكم كما رمى من قبلكم بالمحنة والخبال..."[2]، وفي قول آخر".... وأطلعنا على نواياه الدفينة وحساباته الماكرة التي تتنافى والشريعة السمحة..."[3]، وفي قول آخر"...وما مراده إلا إثارة الفتنة والفساد وجلب الشر والفتنة للمسلمين كما جلبها لإيالة الجزائر وغيرها حتى أوقعهم في الكفر والعياذ بالله... "[4].

كما سعت فرنسا جاهدة لتحطيم كل علاقة ودية تربط الطرفين العربيين المغربي والجزائري، فقامت بإرسال ليون روش إلى المغرب بصفته جاسوسا لها مكلف من قبل الملك الفرنسي لويس فليب في 12 ماي 1845م إلى طنجة للبحث في مسالة الحدود[5].

وفي 18ديسمبر 1845م قام بوسلهام (بإرسال خطاب إلى ممثل فرنسا جاء فيه"... إنكم تذكرون لما فيه يتعلق بالشيخ سيدي عبد القادر، إن هدفه هو التآمر ومحاربة هذه السلطنة[6]، وفي يوم 25 أوت 1845م وجه ابن إدريس إلى الجنرال ديلاري(**Dulari**)يؤكد فيه دواعي هذه السياسة " أن سيدنا لا يرفض أبدا أن يرسل جيشا لمحاربته علنا، ولكن التفكير في المحبة والإخلاص الذي حصل عليها عند هذه القبائل يجعله يخشى من نشأة تعقيدات خطيرة، إذ أنهم لم يتخلوا عن رجل طلب إليهم اللجوء وسيجتمعون حوله وسيعودون إلى حمل السلاح ضد السلطان الحقيقي، ويضاعفون من إخلاصهم لعبد القادر الذي سيحصل بهذه الطريقة إلى مبتغاه"[7]، لذا رأى السلطان أن الحل الأمثل هو إقامة الصلح مع الفرنسيين، فقام السلطان عبد الرحمن بتعيين محمد بن عبد الله[8] عاملا على الريف في شهر فيفري 1846م، حيث كان هدفه محاصرة القبائل المساعدة والمساندة للأمير الجزائري، وإثر

---

[1]– محمد علي الصلابي، كفاح الشعب الجزائري ضد الاحتلال الفرنسي، دار المعرفة، بيروت، ص 495.

[2]– عبد الرحمان ابن زيدان، إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس (1290ه -1365ه)، تحقيق: علي عمر، ط01، ج5، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر، 2008 م، ص 78.

[3]– يحي جلال وآخرون، مسألة الحدود المغربية الجزائرية، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1982م، ص225.

[4]– محمد بن عبد القادر، المصدر السابق، ص 589.

[5]– يوسف مناصرية، مهمة ليون روش في الجزائر والمغرب (1832م–م1847)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1990م، ص47.

[6]– إسماعيل حامت، الحكومة المغربية واستقلال الجزائر، تقديم: على تابليت، ترجمة: زكي مبارك، منشورات ثالثة الجزائر، 2012م، ص 126.

[7]– يحي جلال وآخرون، المرجع السابق، ص 227.

[8]– يوسف مناصرية، المرجع السابق، ص 80.

وصوله قام بأعمال سيئة ضد المهاجرين الجزائريين، وعزل الجيلالي بن العواد قائد الجيش المغربي، وتعيين مولاي إبراهيم ابن عم السلطان مكانه، لكن ابن عبو عجز في فرض سيطرته، مما أدى لتقديم المساعدة له من قبل سلطانه المغربي الذي زوده بالقوات العسكرية[1].

وبذلك تكون فرنسا قد تمكنت من توظيف ورقة عبد القادر وخطره على العرش المغربي وهذا واضح من خلال الرسالة الموجهة لولي العهد المغربي حيث تضمنت الحرص على تأليب القبائل ضد الأمير عبد القادر واتخاذ جميع التدابير الصارمة ضد الأمير وأن يعلن حربا لا هوادة فيها ضده[2].

ولتوطيد العلاقة أكثر والتقرب من السلطان عبد الرحمن طلب القنصل دي شاستو **(Du Chastou)**إلى ابن إدريس أن يستقيل المبعوثين الدبلوماسيين إلى طنجة، كما دعمه في طلبه قنصل إنجلترا في طنجة السيد جون دريموند هاي يترجاه إنصاف مطالب فرنسا العادلة[3].

وعند وصول روش إلى مدينة الرباط علي متن الباخرة ميتيور (Météore) استقبله ابن إدريس بحفاوة وإكرام، ومنذ وصوله عمل على استعمال دبلوماسيته لمخادعة ابن إدريس وفعلا نجح من خلال تبرير عدم وصول رسائل السلطان إلى الحكومة الفرنسية، وإضعاف قيمة انجلترا في وساطتها لاستقباله إذ قال: "أن فرنسا تربطها علاقة قديمة بالمغرب، وما رسالة القنصل الانجليزي إلا أمانة فقط وليست وساطة "، وفعلا انطوت هذه الخدعة علي ابن إدريس الذي ساعد روش علي تقديم له مصادقة السلطان على مطالب فرنسا، وكذا على مقابلة السلطان في 21 نوفمبر 1845م، ولما دخل روش إلا وبادر بقوله أن الأمير عبد القادر يهدد عرش المغرب أكثر مما يهدد فرنسا نفسها لأن هذه الأخيرة قادرة أن تمنع دخوله للجزائر، وإنما فرنسا أتت اليوم لتضع نفسها في خدمة السلطان للقضاء على العدو وتعمل معه على إخضاع القبائل المغربية التي تساند الأمير وفعلا تعهد السلطان على مساعدة فرنسا والعمل معها لإقامة السلم[4].

قام الأمير عبد القادر بمراسلة السلطان المغربي عبد الرحمن، للكف عن المضايقات التي تسببت بها القبائل المغربية على القبائل المجاورة لها التابعة للأمير برسالة مفادها طلب وقف الاعتداء على الدائرة" ... أما بعد، فإني كاتبتكم أولا، والتمست منكم كف ضرر قبائلكم المجاورة لنا وتعديها على من تبعني، وسوء معاملتهم لهم، ...فلم يأتني جواب عن ذلك، ولم يحصل لهم درع من طرفكم، ومع هذا كله أنا صابر ومتحمل لما يجرونه كراهة في سفك دماء المسلمين مدة ستة أشهر ...، مع قدرتي عليهم في

[1]– إسماعيل حامت، المرجع السابق، ص ص 143-144.
[2]– المرجع نفسه، ص 145.
[3]– يوسف مناصرية، المرجع السابق، ص ص 51-52.
[4]– المرجع نفسه، ص 52.

كل آن،...، لذا بادرت بإخباركم والسلام عليكم"[1]، فهذا دليل على صبر الأمير لأذى قبائل المخزن المغربية ولم يواجههم رغم قدرته على ذلك.

وأمام عدم ردِّ السلطات المغربية، أيقن الأمير نية المغاربة ضده فقام باجتماع مع قادة جنده وكبار ضباطه ليطلعهم علي حقيقة الوضع، فقام بإخبارهم عما يقوم به السلطان عبد الرحمن من خلال قراءته لستة رسائل وقعت في يد أحد أتباع الأمير موجهة إلى أحد زعماء بني سناسن فقال: " ... إن السلطان يحرض القبائل على التمرد، ويتدخل في شؤون دولتنا وأكثر من هذا يطلب من هذه القبائل تدعيم العون للفرنسيين ...."[2]، وهذا وأخبرهم على عزم السلطان وتعاونه مع العدو الفرنسي من أجل إذلال المجاهدين، وطلب إليهم المشورة بهذا الموقف، فكان ردهم الوقوف إلى جانبه في كل ما يأمر به إذ قالو: "... إننا بايعناك على السمع والطاع والجهاد إلى الموت ونحن مستعدون للوفاء بالعهد"[3].

رغم كل هذا إلا أن الأمير لم يتسرع في اتخاذ أي قرار لمواجهة ما يتعرض له من قبل القبائل المغربية، كل هذا من أجل حقن دماء المسلمين وصدق نيته في حب الجهاد في سبيل الله والحفاظ على الروابط الدينية والأخوية التي تجمع بين البلدين.

وأمام هذه الأوضاع لا يسع الأمير إلا وأن يتجه نحو تحكيم رأي علماء المشرق والمغرب لأخذ الاستفتاء حول ما قام به السلطان عبد الرحمن ضده، وضد رعاياه واتهامه بالخيانة وطمعه في عرش المغرب الأقصى. فوجه رسالة إلى علماء مصر وهم علماء الأزهر الشريف حيث شرح فيها الأمير أسباب خيانة السلطان له، حيث كان الرد من قبل العلامة محمد عليش مفتي المالكية بالديار المصرية[4] على هذه المسألة بجواب طويل:"... يحرم على السلطان المذكور أصلح الله أحواله، جميع ذلك الذي ذكرتم حرمته معلومة من الدين"[5].

وما نستخلصه فعلا أن الأمير عبد القادر كان جد مصّر على ألا يخسر التأييد المغربي، لكن الضرورة حتمت ذلك، لأن الضرر كان جد عظيم على الأعيان والقبائل المساندة له وفعلا بهذا التصرف الرامي لأخذ استفتاء علماء الدين كسب تأييد رعيته ومشروعية جهاده الدينية وتظليم كل ما بادر من قبل السلطان المغربي عبد الرحمن. ومن هنا نقول أنه بدأت تظهر بوادر الحرب بين الطرفين المغربي والجزائري بسبب وقوع السلطان في فخ التحريض الفرنسي له ضد إضعاف وطرد الأمير عبد القادر من

[1]– إسماعيل الغربي، المرجع السابق، ص310.

[2]– محمد علي الصلابي، المرجع السابق، ص 496.

[3]– محمد بن عبد القادر، المصدر السابق، ص321.

[4]– خير الدين الزركلي، الأعلام (قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ج6، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1986م، ص 19.

[5]– محمد بن عبد القادر، المصدر السابق، ص321.

بلاده الذي أصبح يعد تهديدا على وجوده في الأراضي الجزائرية وشل توسع مخططه الاستعماري ليصل إلى المغرب الأقصى.

2- مصير قبائل بني عامر المساندة للأمير عبد القادر:

نتيجة للتحالف المغربي الفرنسي ضد الأمير عبد القادر وسعيهم على القضاء على عون يأتيه من طرف أي قبيلة عربية، وتعتبر قبيلة بني عامر[1] من بين أهم القبائل التي كانت جنبا إلى جنب في القتال الذي خاضه الأمير عبد القادر ضد المستعمر الفرنسي.

لقد أصبحت قبلية بني عامر من بين معظم القبائل الجزائرية التي كانت تعيش ظروفا سيئة، مما أدى إلى نقص المؤن الموجهة للأمير عبد القادر، وبذلك اضطر الأمير عبد القادر إلى الهجرة نحو المغرب الأقصى، لأن الحصول على المؤن في داخل الجزائر أصبح جد صعب جراء عمليات الحرق والتدمير والمصادرة التي كانت تتعرض لها جل القبائل، وقبيلة بني عامر هي الأخرى تعرضت في أواخر سنة 1843م إلى حملة عسكرية قادها الجنيرال بيدو ضدها بمنطقة سيدي بلعباس، وخوفا من تمرد هذه القبائل مرة أخرى، أبقى بيدو على القوات بمضارب هذه القبيلة لمنعها من دعم الأمير عبد القادر، خصوصا بطن الجعافرة الذين أجبروا على الإقامة بالقرب من المركز العسكري الفرنسي بمنطقة سيدي بلعباس، لمنع أي اتصال بينهم وبين الأمير عبد القادر.[2]

ونظرا للضغط الممارس على هذه القبيلة أعلن أحد بطونها وهو أولاد إبراهيم العمارنة في جانفي 1845م الثورة على السلطات الفرنسية، الأمر الذي أدى بالسلطات الفرنسية إلى تضييق الخناق على هذه القبلية، فاضطر عدد من بطونها للهجرة إلى المغرب الأقصى خلال سنة 1845/ كأولاد إبراهيم، أولاد سليمان، ذوي عيسى، أولاد سيدي علي بن يوب، أولاد بلاغ وأولاد سيدي خليفة، المهاجة وجعفر بن جعفر، ولم تعد إلى مضاربها حتى سنة 1849م، حيث وجدت معظم أراضيها وأملاكها قد صودرت تطبيقا لتعليمات بيجو الذي صرح في 18 أفريل 1846م بأن: " كل الأملاك العقارية والمنقولة الجماعية منها والفردية التابعة للقبائل التي هاجرت إلى المغرب الأقصى أو الصحراء أصبحت ملكا للإدارة الفرنسية"، وبذلك أصبحت هذه القبيلة تعاني من وضع مزر جراء ما تعرضت له على يد السلطان المغربي والسلطات الفرنسية[3]، حيث أرسل عليهم قوات تتشكل من حوالي 1500 مقاتل أغلبهم من قبيلة الشرادة تحت إمرة القائد إبراهيم بن أحمد الأكحل، وبالرغم من استماتة اللاجئين في الدفاع عن أنفسهم، إلا أن القوات المغربية تمكنت من محاصرتهم وقلت منهم عددا كبيرا، أما الذين قبض

[1]– متاح على الموقع الإلكتروني التالي: http:// tribus algériennes Word presse. Com، تاريخ الزيارة: 2022/05/10.

[2]– العيد فارس، المرجع السابق، ص 333.

[3]– المرجع نفسه، ص 334.

عليهم المغاربة أحياء فقد وضعت السلاسل في أيديهم وأرجلهم، وطيف بهم في الشوارع للتشهير، بينما ساقوا النساء والأطفال الذين بقوا على قيد الحياة إلى مراكش لبيعهم في سوق العبيد.[1]

وتعد نكبة قبائل بني عامر من أهم النقاط التي هزت بكيان المقاومة الجزائرية على يد الأمير عبد القادر الذي عمل جاهدا على الرد على هذا الاعتداء والتأكد أن العون العربي للمستعمر الكافر يعد نقطة سوداء في تاريخ المغرب الأقصى وسعيه على استرجاع حقوقهم وسعيه وإصراره على الدفاع على الوطني والدين الإسلامي.

3- التصادم المغربي الجزائري ونهاية علاقة الحاكمين العربيين.

مع توالي الأحداث التي جرت بين الأمير عبد القادر والسلطان عبد الرحمن من علاقة ودٍّ وسلم، هاهي انقلبت بفضل جهود وإصرار فرنسا على زرع الخلاف والتشتت بينهما، فتحققت سياستها بمسايرة واستسلام المغرب الأقصى والرضوخ للمؤامرات الفرنسية التي حاكتها للإيقاع بالسلطان المغربي، الذي بدوره بالغ كثيرا في تسليط الأذى على إخوته المسلمين من القبائل العربية المساندة للأمير الجزائري، فكان لذلك رد فعل رجولي من الأمير رغم الجهود التي بذلها هذا الأخير في عدم فرقة الأخوين، إلا أن السلطان عبد الرحمن أبى إلا أن يقضي على المقاومة الجزائرية.

ونتيجة للعدوان الذي سلطه على إخوانه العرب وخاصة ما تعرضت له قبائل بني عامر لأبشع صور الإهانة والإذلال، ولم يكتفي السلطان عند هذا الحد فقد وضع الكمائن له ومصادرة كل المؤن الذاهبة إلى المجاهدين وتحويلها إلى فرنسا، فكانت أولى مواجهة في معرفة تافريست[2] حيث قامت القبائل المغربية (المخزن) بمهاجمة قبائل الأحلاف للدائرة بأمر من قائدها، واعتدوا على قوات الأمير بقيادة البو حميدي، وقاموا بنهب إبلهم وغنمهم وقد راسل الأمير عبد القادر قائدهم للكف عن هذه الأعمال ضد إخوانه في الدين ولكنه لم يهتم بهذه المراسلات، فكانت الحملة بقيادة" الأحمد بن سالم المالكي" حيث جهز لها الأمير مئتي فارس بالمقابل الجيش المغربي كان تعداده تسعة آلاف مقاتل من القوات المخزنية حيث انهزم المغاربة فيها. وأخذ بذلك الأمير ما كان في المعسكر من ألبسة وأدوات حربية قدرت بألوف من الليرات[3]، واعتبر السلطان عبد الرحمن أن واقعة تافريست بمثابة نكبة على بلاده حيث قال: ".....وقد كان النصارى بوجده أخف لأن النصراني فعل ما فعل ورجع أدراجه وهذه الواقعة هي الطامة لظهور هذا الشيطان....."، كما قام بإرسال قوة عسكرية إلى تازة في أواخر جوان 1847م لتأديب القبائل المساندة للأمير وتقديم الهدايا إلى زعماء القبائل لإبعادهم عن الأمير وجعلهم

[1]– محمد بن عبد القادر، المصدر السابق، ص 320.

[2]– تافريست: اسم لمكان على الحدود المغربية الجزائرية يبعد بنحو مسافة مرحلة عن الدائرة الي وقعت فيها المعركة التي شنتها الأحمر ضد الأمير. ينظر: عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج4، شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2010 م، ص 225.

[3]– محمد بن عبد القادر، المصدر السابق، ص 317.

كشوكة في حلق الأمير، وإتباع استراتيجية الجوسسة واللجوء إلى الحيلة في التعامل مع القبائل المغربية والاستعانة بليون روش في تطبيق ذلك.[1]

وبعدها تلتها معركة قلعية فهي من بين المعارك الشرسة التي خاضها الأمير عبد القادر ضد قوات السلطان المغربي الذي أصر على القضاء على دائرة الأمير، وحدثت أثناء تواجد الأمير في مكناس حيث قاموا أهالي القليعة بغارات على دائرة الأمير فنهبوا وسلبوا وكان ذلك خلال مرحلتين: الأولى في جويلية 1847م والثانية في أوت وسبتمبر من نفس السنة، ونتيجة هذا الاعتداء على دائرة الأمير وعند سماعه بذلك طلب من زعماء القبيلة إعادة ما تم سلبه فرفضوا الانصياع لما طلبه، فشن عليهم الأمير حملة عسكرية فغزاهم وهزمهم شر هزيمة وقام بأسر فئة منهم ثم عفا عنهم بعدما استرجع كل ما نهبوه وأخذوه من الدائرة.[2]

أما بالنسبة لما حدث لقبيلة بني عامر وما جرى لهم، انتقل بعدها الأمير إلى زايو وهو موضع مطل على سهل تريفة للتفاوض مع محمد بن عبد الرحمن رئيس قبيلة الأحلاف حول اجتناب المعارك وخلق السلم بين الطرفين، واتفقا على أن يرسل الأمير أحد خلفائه إلى السلطان ليعتذر منه ويسمح له بالذهاب إلى الصحراء، وذهب في هذه المهمة البو حميدي لهذه السفارة برفقة محمد بن عبد الرحمن إلى فاس في 27 نوفمبر 1847م، لكن السلطان المغربي لم يستقبلهم وألقى القبض على البو حميدي واتهمه بأنه السبب في موت القائد ابن الأحمر، وقال له أن الحل الوحيد هو أن يشتت الأمير دائرته ويسلم نفسه، حيث بلغ البو حميدي هذا الخبر لأميره عبد القادر عن طريق اثنان من مراقبيه، وبقي في السجن إلى أن أرغم السلطان البو حميدي على تسميم نفسه.[3]

ولما سمع الأمير بخبر وفاة البو حميدي عمدا، جهز في ليلة 11- 12 ديسمبر 1847م خطة للرد على ما فعله السلطان المغربي بأهم رجل في قادته، حيث أحضر جملين وشد على كل منهما حزمتين من الحلفاء بعد أن طلاهما بالقطران وأشعل النار فيهما ليلا، وهكذا ضرب مخيمات الأخوين محمد ولي عهده وأحمد، بعد أن قام السلطان بتجهيز ولديه بخمسين ألف مقاتل وأنزلهم في قلعة سلوان على مسافة ثلاثة ساعات من الدائرة، بينما كانت قبائل الحشم وبني عامر حوالي 800 فرسا و1200 جنديا، وتمت المعركة على ضفاف واد ملوية بقيادة ابن عبد الصادق والمولى أحمد، وكان النصر من حليف الأمير، وبعد هذا الانتصار أمر الأمير برفع الدائرة إلى ناحية عجرود، حيث عين العسكر المشاة للمحافظة عليها، وعندما علم بانتقال الجند المغربي إلى زايو نشبت بينهما أيضا معركة دامت عدة ساعات، فأصيب فرس الأمير عدة مرات، بينما زادت قوة الجيش المغربي بدعم من قبائل قلعية

[1]– يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص 155.
[2]– إسماعيل العرابي، المرجع السابق، ص 314.
[3]– المرجع نفسه، ص 317.

وكبدانة لنجدة أبناء السلطان بحيث كان النصر للمغاربة، إذ قتل حوالي 100 عسكري وأسر مثلها من صفوف الأمير، بحيث كبدت هذه المعركة الأمير خسائر مادية ونهبت محلته.[1]

وفي 19 ديسمبر 1847م وبينما كان الأمير منشغلا باجتياز نهر ملوية متجها إلى الحدود الجزائري، استغلت القوات المغربية ذلك وأطلقت النار على المهاجرين وقتل الكثير منهم، ولما وصل الأمير إلى الحدود وجد أمامه الجنيرال لاموريسيار (**Louis Juchault de Lamoricière**) (1806 م-1865م)محاصرا المدخل بقوة فاقت 400 جندي و1100 فارس[2]، وقد اتخذ جميع احتياطاته لحراسة المدخل إلى الجزائر ومضيق جربوس، ولما وصلت طلائع جيش الأمير إلى هذا المضيق في 22 ديسمبر 1847م فرأى الأمير ذلك حينها أيقن أن وقته قد حان، لكن حرصه على من والاه من رجال ونساء وأطفال دفعه إلى مشاورات مع أصحابه بخصوص تقرير تسليم نفسه على أن يؤذيهم، واختار الأمير مكان استسلامه والذي لم يكن بعيدا عن ضريح سيدي إبراهيم حيث شهد فيه الأمير أعظم انتصاراته فيما مضى.[3]

سلم الأمير عبد القادر نفسه في 23 ديسمبر 1847م بعد تعهد الجنيرال لاموريسيار بتنفيذ شروط الأمير في الانتقال إلى مكة أو فلسطين أو دمشق، وبهذا الاختيار الذي قرره الأمير أن يسلم نفسه للطرف الفرنسي بدلا من الطرف العربي دليل على حنكة وتفطن القاعد الجزائري بأن العدو الفرنسي أرحم على دائرته من العدو العربي.[4] وهنا كانت نهاية مقاومة لو التحم فيها الرأي العربي لتم القضاء على ألذ أعداء الإسلام والعروبة، لكن المغرب الأقصى أبى ذلك وجعل الكفة تميل اتجاه السلطة الفرنسية، مما أدى للقضاء على آمال تحقيق حلم وحدة لم يولد في الواقع، ففرح السلطان عبد الرحمن باستسلام الأمير ونصرة الفرنسيين يعد وصمة عار لا تنسى في تاريخ شعب مسلم عربي أخوي.

[1]– المصدر السابق، ص 322– 324.

[2]– برونوإتيين، المصدر السابق، ص 235.

[3]– إسماعيل العرابي، المرجع السابق، ص 317.

[4]– من خلال ما كتبه هنري تشرشل أن الأمير استفتى أصحابه حول الإسلام إلى أي الطائفتين يسلم نفسه حيث قال لهم:" والمشكل هو هل نسلم أنفسنا إلى أيدي المسحيين أو إلى أيدي مولاي عبد الرحمن، ولكم أن تحكموا في هذا الأمر بما ترون أنه الأفضل، أما أنا فإنني أفضل ألف مرة أن أثق فيمن حاربني على من خانني" ينظر: هنري شرشل، المصدر السابق، ص 264.

المبحث الثاني: العلاقات الاقتصادية الجزائرية المغربية

شهد المغرب العربي التبادل التجاري منذ القديم وتطور مع تطور حاجيات ومتطلبات الإنسان، ما دفع إلى البحث عن وسائل للمواصلات لنقل السلع وتبادلها، وتعتبر الجزائر والمغرب الأقصى من بين هذه الدول التي سعت لتقوية علاقاتها الأخوية بالتبادل التجاري بينهما، وهذا ما سوف نتطرق إليه في هذا المبحث من خلال ذكر الأسواق والمسالك التي ساعدت على تنقل القوافل بين البلدين، مع ذكر صعوبة الظروف التي كانت تعيشها كلا البلدين من جراء سياسة المستعمر الفرنسي.

المطلب الأول: المسالك والأسواق التجارية

تحدث الكثير من المؤرخين والرحالة عن الشبكات التجارية ومدى إسهامها في الربط بين الشعوب، وعن الصعوبات التي تواجهها قوافل التجار أثناء نقلهم لبضائعهم من بلد لآخر[1]، وتعتبر الجزائر والمغرب الأقصى من بين هذه البلدان، حيث تحدثوا عن مساهمة الطرق التجارية في الربط بينهما في مختلف أوجه الحياة، من قرب للمسافة واتساع للمسالك إلى توافر الماء فيها ومحطاتها الاستراتيجية[2].

ومن بين أهم هذه الطرق طريق صحراوي تشترك فيه جل القوافل التجارية عامة والجزائر والمغرب خاصة، ويعد من الطرق الطولية نذكر منها:

أ- **طريق فاس ومكناس نحو تومبوكتو:** يمر بقصبة المخزن وأم دربينة، ويتبع حوض وادي غير إلى إيقلي، ثم حوض وادي الساورة إلى توات، ومن ثم إلى تومبوكتو.[3]

ب-طريق مراكش إلى تومبوكتو*[4]: يمر على تارودانت وتاوريت وتيندوف، ويخترق رمال إيفيدي وعرق شيمش، ويتجه إلى تاوديني، كما يخترق الجوف شرقا، مارا بأونان ليتجه شرقا إلى تومبوكتو، وهو الطريق الذي سلكه الرحالة الألماني أوسكار لينز (**Oskar Lenz**)عام 1880م[5].

---

[1]– قويدر بشار، القوافل التجارية المغاربية (طبيعة التجار وآثارها) – طريق القوافل–، المركز الوطني للبحوث في عصور ما قبل التاريخ وعلم الإنسان والتاريخ، الجزائر، 2001 م، ص13.

[2]– عمار بن خروف، العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية بين الجزائر والمغرب في القرن العاشر هجري والسادس عشر ميلادي، ج02، الأمل للطباعة والنشر، الجزائر، 2008 م، ص 15.

[3]– إبراهيم مياسي، الاهتمام الفرنسي بالصحراء – طريق القوافل –، المركز الوطني للبحوث في عصور ما قبل التاريخ وعلم الإنسان والتاريخ، الجزائر،2001 م، ص 86.

* حددها محمد الوزان المعروف بليون الإفريقي بقوله:" على بعد 12 ميلا من أحد فروع النيجر"، وتعد من أهم مدن السودان الغربي، فهي تقع على الحافة الجنوبية للصحراء الكبرى، بالتحديد شمال عاصمة باماكو في دولة مالي، والتي تبعد عنها بحوالي 1800 كلم.

[4]– الحسن بن محمد الوزان، وصف إفريقيا، ترجمة: محمد حجي ومحمد الأخضر، ط2، ج2، دار الغرب، بيروت، لبنان، 1983 م، 165.
الهادي مبروك الدالي، التاريخ الحضاريين لإفريقيا وراء الصحراء من نهاية القرن 15 عشر إلى بداية القرن الثامن عشر، ط02، منشورات البحوث والدراسات الإفريقية، طرابلس، ليبيا، 2001 م، ص 99.

[5]– يحي بوعزيز، مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1999، ص 111.

ج- **طريق وهران وأرزيو إلى تومبوكتو:** يمر على حيثر ومشرية وعين الصحراء، وفكيك ويتبع مجرى واد زوزفانة إلى إيقلي، أين يلتقي بطريق فاس إلى تومبوكتو.[1]

د- **طريق مدينة الجزائر إلى تومبوكتو**: يمر بالبليدة ثم بوغار، ثم الأغواط وغرداية، فعين صالح، ثم يتجه غربا نحو أكابلي، وبئر تيريشومين، حيث يلتقي بطريق توات إلى تومبوكتو، وقد سلكه الضابط بالا.[2]

أما الطرق العرضية فهي تمتد من الغرب إلى الشرق والعكس:

أ- **الطريق الأول:** يبدأ من مراكش، فاس، فتازا إلى وجدة، ثم تلمسان، ثم وهران، ومعسكر إلى متيجة، وبعدها بوفاريك إلى الجزائر العاصمة، إلى قسنطينة، إذ يمر المسافر أو التاجر بممر واد الزيتون، بني هارون، حمزة (البويرة)، أبواب الحديد لمجانة، وهو طريق سلكه الرحالة بايسونال(**Paisonal**) عام 1725، وديفونتان (**Du Fontaine**)عام 1785م.[3]

ب- **الطريق الثاني:** فيبدأ من أغادير إلى مراكش، ثم إلى فيقيق، أما في الجزائر فيعبر بلاد أولاد سيد الشيخ، مرورا بالشلالة وجارفيل (البيض)، ثم الأغواط، فبوسعادة، بسكرة، ومن بوسعادة يتفرع طريق إلى ورقلة، مرورا بغرداية وتوقرت.[4]

وبالإضافة إلى الطرق البرية هناك الطريق البحري، الذي ينطلق من موانئ المغرب الشمالية إلى السواحل الأطلسية، وحددها أبو الحسن التمكروتي كمايلي:" ..... كان الانطلاق من تطوان، برغتة إلى حجر باديس، خساسة، ثم هنين، مستغانم، تنس، إلى شرشال، ثم العاصمة."، وقد كان للسفن الحاملة للركاب والتجار أن يستريحوا في هذه الموانئ[5]، بحيث لم تكن هذه الطرق آمنة للتجار من القرصنة البحرية من الأوروبيين.

---

[1]– إبراهيم مياسي، المرجع السابق، ص 87.

[2]– يحي بوعزيز، مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية، المرجع السابق، 112.

[3]– رشيد حفيان، الطرق والقوافل التجارية بين الحواضر المغاربية وأثرها الحضاري في العهد العثماني خلال القرنين 11 –12 هـ/ 17–18م، مذكرة ماجستير في التاريخ، جامعة قسنطينة، قسنطينة، الجزائر، 2013 م/2014 م، ص 16

[4]– يحي بوعزيز، مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية، المرجع السابق، ص 111.

[5]– علي بن محمد التمكروني، النفحة المسكية في السفارة التركية 1589م، تحقيق: محمد الصالحي، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، المغرب، 2007 م، ص ص 24–25.

أما الأسواق التجارية فنذكر منها:

أ- مدينة الجزائر: وتعد من بين أهم مراكز التبادل التجاري، كونها قاعدة للحكم التركي منذ القرن 16م، والتي أطلق عليها اسم إسطنبول الصغرى، أما بخصوص علاقاتها التجارية مع المدن المغربية فهي كثيرة منها: مدينة تطوان[1] الذي اعتبر ميناؤها معبرا كلما تعذر المرور من مضيق جبل طارق[2] بالرغم من ضغوطات التي يمارسها المخزن على تجار تطوان، إلا أنهم واصلوا تعاملاتهم الودية مع تجار الجزائر.[3]

ب- مدينة تلمسان: تحولت منذ العهد الزياني إلى مركز تجاري، فكانت لها علاقات جيدة مع كل من فاس وتازة وسجلماسة وفكيك، إذ يعد ميناء هنين بوابة تلمسان على المتوسط عمل على تنشيط الحركة الصناعية والتجارية للبلدين.[4]

ج- مدينة فاس: يعد النشاط التجاري بها من أقدم القطاعات في المغرب، لكونها كانت تزود كل مناطق المغرب بالمواد المصنوعة محليا، والتي سعت لتسويقها برا عن طريق القوافل في الأسواق الجزائرية[5]، هذا ما فسر استقرار العدد الكبير من التجار الفاسيين في بعض المدن الجزائرية مثل: وهران.[6]

د- مدينة وجدة: هي الأخرى تعد من أهم المراكز التجارية في شرق المغرب رغم صغر مساحتها، إذ تعد حلقة وصل بين المحاور الشمالية والشرقية والجنوبية في المغرب والجزائر، وملتقى العديد من الطرق التجارية مثل: ممر محج السلطان، كما نجد من أهم أسواقها سوق الخميس بباب سيدي عبد الوهاب، كما بها قيسريتان يتمركز فيها عدد كبير من التجار الفاسيون والجزائريون وأتراك تلمسان. فأسواق وجدة تمثل بؤرا كبيرة لحركة التجارة.[7]

وهذه الأسواق الشمالية لا تقل أهميتها عما لعبته واحات الصحراء في تسويق السلع من جهة، وهمزة وصل بين البلدين من جهة أخرى نذكر منها:

---

[1]– عمار بن خروف، المرجع السابق، ص 79.

[2]– عبد العزيز سعدون، تطوان في القرن الثامن عشر (السلطة – المجتمع– الدين)، ط1، مطبعة الخليج العربي، تطوان، 2007 م، ص204.

[3]– عمار بن خروف، المرجع السابق، ص 81.

[4]– أ.ف. دينيزن، الأمير عبد القادر والعلاقات الفرنسية العربية في الجزائر، ترجمة: أبو العيد دودو، دار هومة، الجزائر، 2003 م، ص 92.

[5]– محمد المنصور، المغرب قبل الاستعمار– المجتمع والدولة والدينة (1792–1822)، ترجمة: محمد حبيدة، ط1، المركز العربي الثقافي، الدار البيضاء، المغرب، 2006 م، ص 122.

[6]– لوطورنو روجي، فاس قبل الحماية، ترجمة: محمد حجي، محمد الأخضر، ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1992 م، ص 640.

[7]– مصطفى الغديري، الريف قراءة في وثائق، سلسلة كتب الريف، مطبعة الجسور، المغرب، 2009 م، ص ص 145–149.

✓ ورقلة والتي تمثل الواجهة الشرقية لواحات الجزائر ومحطة للقوافل العابرة للصحراء.[1]

✓ توقرت والتي تتوفر على شبكة من المواصلات والطرق زادت من تنشيط مجالها الاقتصادي والتجاري في تصدير التمور التي ينتجها واد ريغ.

✓ توات والتي تعد همزة وصل بين القوافل المارة من سجلماسة غربا إلى غدامس شرقا، ومن تلمسان شمالا إلى السودان الغربي ومالي جنوبا، وهذا ما سهل لقوافل الحج أن تأخذ نصيبها في البيع والشراء.[2]

المطلب الثاني: المبادلات التجارية بين الجزائر والمغرب

من الطبيعي أن تعدد المسالك وتنوع الأسواق التجارية ينتج عنها تبادل تجاري في مختلف السلع والمنتوجات عن طريق الصادرات والواردات المتبادلة بين البلدين، بحيث تتمثل المنتوجات المصدرة من الجزائر إلى المغرب عن طريق البحر في السيوف، الخناجر، الأقمشة الهندية، الأجواخ الإنجليزية، والمواد الصبغية المسماة ب **(Chenilles D'espagne)**، أما عن طريق البر فكانت تصدر الحرير المجلوب من تونس، الأقمشة الصوفية المصنوعة في واحات الجزائر كالبرانيس والحياك، وكذا الدواب، الماشية، ولوازم السفر كالبرادع الحبال، التمر، الدروع، وغيرها[3]، في مقابل ذلك كانت صادرات المغرب للجزائر قليلة لكن منتظمة، فبعضها منتجات مغربية كالحبوب، ملابس صوفية، جلود خام أو جلود مصنعة، زيوت، حناء، عسل،. إلخ، وبعضها سلع من أوروبا كالتوابل، شاي، سكر، المنسوجات المختلفة، الصابون، ونوع من التراب كان يستعمل في التنظيف كالصابون المعروف باسم (الطفل)، الذهب، والأحجار الكريمة، وكذا الجلود المدبوغة في تافيلالت، والبليغات المصنوعة من الجلد، والحياك الصوفية، السيوف، الحديد، النقود، البخور، وغيرها، وكان العبيد أو بالأحرى المستبعدين من الأسرى النصارى قد شكلوا في كل الأحوال مادة مربحة في كلا البلدين.[4]

إن البضائع التي كانت تعبر من فاس نحو الجزائر، كان جزء منها يتوقف في الطريق، إذ كانت البضائع تباع لقبائل الحدود المجاورة، انطلاقا من مراكز وجدة وتازا ومدن صغيرة من الدرجة الدنيا، مثل كريسف ودبدو.[5]

---

[1]– ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر العثماني، دار الغرب الإسلامي للنشر والتوزيع، بيروت، 2000 م، ص46.

[2]– ناصر الدين سعيدوني، ولايات المغرب العثمانية الجزائر وتونس وطرابلس الغرب، ط2، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013 م، ص101. انظر الملحق رقم 04.

[3]– عمار بن خروف، المرجع السابق، ص 319.

[4]– المرجع نفسه، ص 320.

[5]– لوطورنو روجي، المصدر السابق، ص 564.

المطلب الثالث: مشاكل التجارة بين الجزائر والمغرب

لقد تأثرت تجارة المغرب مع الجزائر جراء الاحتلال الفرنسي، حيث تدنى مستوى المبادلات التجارية بينهما بسبب انقطاع بعض الطرق التجارية الرئيسية، إضافة إلى سياسة فرنسا الداعية لإبعاد الاتصال الودي بين البلدين من أجل ضمان تحقيق مشروعها التوسعي وزيادة هوة العداوة بين البلدين، ففي 16ديسمبر1843م أصدرت السلطات الاستعمارية مرسوما يحظر المبادلات التجارية بينهما لعرقلة وصول الإمدادات لمقاومة الأمير عبد القادر.[1]

ففي هذه الفترة كانت تجارة الجزائر مع المغرب (فاس) تكاد تكون تجارة تصدير فحسب، خاصة المنتوجات الحرفية بالإضافة إلى تعرض تجارها للخطر نتيجة التعامل مع المستعمر الفرنسي[2]، وما زاد من فوهة التوتر في العلاقات الاقتصادية التجارية توقيع السلطان المغربي لمعاهدة تحديد الحدود بين البلدين، والتي في أولها كانت مؤقتة هدفها سياسي من أجل القضاء على مقاومة الأمير عبد القادر الجزائري ثم سعت بعدها لتجديد العلاقات تحت راية التوسع السلمي هذا من جهة، بالإضافة إلى سياسة المخزن المغربي من جهة أخرى، الذي عمل على إقناع القبائل المغربية التي تقع في الحدود بقطع صلتهم التجارية مع اخوانهم التجار الجزائريين، والتعامل مع المستعمر، والذي كانت نتيجته عدم الموافقة على قطع الصلة بين إخوانهم الجزائريين، وعدم مساندتهم للكافر المحتل، فبذلك لم يوفق المخزن من منع التجارة مع الجزائريين والتعامل مع المستعمر، الأمر الذي كلف المخزن خسائر اقتصادية كبيرة، ولهذا قرر السلطان احتكار التجارة الخارجية، وتعيين المتعاملين معه من التجار شرط أن يقتسموا الأرباح معه، وقد اختيروا من يهود المغاربة ومن أهل فاس.[3]

وبالرغم من جهود المخزن في تفعيل قرار المقاطعة التجارية مع الجزائر، إلا أن رغبة المستعمر في التغلغل جنوبا دفعته إلى رفع الخطر على المنتجات المغربية القادمة إلى الجزائر برا، وهذا القرار الفرنسي أغضب المخزن، ما جعل ظاهرة التهريب تستفحل بين التجار، لاسيما تجارة الماشية والحبوب والصوف والجلود.

[1]– برحاب عكاشة، من قضايا الحدود بين الجزائر والمغرب، ط01،دار أبي الرقراق، الرباط، 2003 ، ص ص 44-45.

[2]– لوطورنو روجي، المصدر السابق، ص 615.

[3]– موسى شرف، علاقات المغرب الأقصى للدولة العثمانية وإيالاتها العربية في المشرق والمغرب (1171-1265هـ/1757-1848م)، أطروحة دكتوراه في التاريخ المعاصر، جامعة الجزائر02، الجزائر، 2016/2015، ص 314.

المبحث الثالث: العلاقات الاجتماعية والثقافية بين الجزائر والمغرب

إن الامتداد الجغرافي بين المغرب الأقصى والجزائر سهل تنقل الشعبين فيما بينهما، هذا التقارب في المسافات انبثق عنه علاقة اجتماعية جعلت المجتمعين كتلة واحدة حتى لا تستطيع التفريق بين إذا ما كان الشخص مغربيا أو جزائريا، وهذا ما لعبته الهجرات بينهما. وهذا ما سنوضحه من خلال دراسة العوامل المشتركة في العلاقات الاجتماعية بين البلدين وهجرة الجزائريين إلى المغرب، وإسهامات السلطان المغربي في حماية المهاجرين الجزائريين.

المطلب الأول: العوامل المشتركة في العلاقات الاجتماعية بين البلدين

تتفق معظم الكتابات التاريخية أن للجزائر والمغرب روابط مشتركة أنتجت نسيجا اجتماعيا يكاد دارس التاريخ لا يفرق بين الشعبين من ناحية العادات والتقاليد والدين والمصير المشترك.

أ- الأصول الإثنية: تعود أصول سكان بلاد المغرب عموما إلى جنسيين رئيسيين هما: الأمازيغ " سموا أنفسهم بهذا الاسم نظرا لانتمائهم لأب واحد اسمه مازيغ، وهم يمثلون سكان بلاد المغرب الأقدمين"[1]، والعرب "وهم الجنس الثاني السائد في بلاد المغرب العربي عامة، أتو مع الزحف الهلالي مع قبائل بني هلال وسليم، وهؤلاء من مضر، وبنو هلال من جبل غزوان عند الطائف"[2]، هذا بالإضافة إلى العنصر الإفريقي الذي أستعمل في التجارة والحروب، وأشهر مثال: جيش العبيد الذي كونه السلطان العلوي المولى إسماعيل، وفي عهد الأتراك شكلوا جماعات عسكرية عرفت باسم المخزن[3].

ب- الدين: يعد رابط أساسي وقوي، الذي يربط الشعبين اللذان يدينان بالديانة الإسلامية، مع التشارك في كل الأحداث الدينية التي مر بها العالم العربي منذ الفتوحات الإسلامية.

ج- اللغة: كلا الشعبين من البربر ويحملان لهجات متعددة، وأتى الدين الإسلامي بلغته العربية ليوحد بين اللهجات.

د- الجغرافيا الطبيعية: لهم وحدة تضارسية موحدة، كما لهم امتداد تضاريسي منسجم.[4]

---

[1]– موسى لقبال، المغرب الإسلامي، ط02، الشركة الوطنية للطباعة والنشر، الجزائر، 1981م، ص ص16-17.

[2]– عبد الرحمن ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون (العبر ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب البربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر)، ج06، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، 2000 م، ص 77.

[3]– صالح عباد، المرجع السابق، ص 360.

[4]– عمار بن خروف، المرجع السابق، ص ص 345-347.

هـ- الهجرة: منذ العصور القديمة والهجرة تلعب دورا في التقارب بين الشعوب، وهذا ما شهده كلا البلدين منها:

- **الهجرة الأندلسية:** والتي أتت مع الوجود الأندلوسي، حيث كان ضعيفا في الجزائر مقارنة مع المغرب الأقصى، ففي المغرب كانت هناك قرية يقال لها الأندلس كأنها من عمل بني زياد، أما الجزائر كانوا ضمن القوات العثمانية[1].

- **الهجرة الاختيارية:** من أجل العلم كهجرة محمد بن أحمد البستيني الفاسي، وسعيد المقري بن أحمد، أما من أجل العمل كهجرة الزواويين الجزائريين الذين انتقلوا إلى المغرب للعمل كجنود في جيشها[2].

- **الهجرة الجبرية:** عرف كلا البلدين هجرات متعددة بسبب الاضطهاد الاستعماري بهدف البحث عن الأمن والاستقرار، كهجرة أهل تلمسان هربا من للاضطهاد التركي والفرنسي كعرب الشراقة[3].

ومن هنا يتضح أن لكلا البلدين روابط عرقية وتاريخية وجغرافية تجمع بين سكان المغرب الأقصى والجزائر، ليكونوا بذلك مجتمعا واحدا تفصل بينهم فقط حدود فرضها المستعمر الغاشم.

المطلب الثاني: هجرة الجزائريين إلى المغرب الأقصى

منذ العهد السعدي شهدت البلاد المغربية هجرات جزائرية، حيث لجأت إليها بعض القبائل بني راشد وقبائل بني عامر، وأكرموا فيها واستمر هذا إلى قيام الدولة العلوية[4]، ولم تتوقف الهجرة إلى هذا الحد بل تواصلت خاصة بعد مجيء الاستعمار الفرنسي للجزائر سنة 1830، وانتهاجه لسياسة القمع والتجويع والمرض، ما دفع بهم إلى مغادرة ديارهم نحو البلدان العربية خاصة بلاد المغرب الأقصى لقرب المسافة بين البلدين.

فهجرة المغرب الأقصى كانت مهمة من حيث العدد الكبير للوافدين من الجزائر، خاصة بعد فتوة سنة 1842م التي تبيح هجرة الجزائريين إلى المغرب الأقصى أي الانتقال من دار الحرب إلى دار الإسلام، بالإضافة إلى التراجع التدريجي لمقاومة الأمير عبد القادر، فأصبحت بذلك الهجرة واقعا محتوما[5] .

---

[1]– صالح عباد، المرجع السابق، ص 395.

[2]– لمرماور كربخال، إفريقيا، ترجمة: محمد حجي وآخرون، ج2، دار نشر المعرفة، الرباط، 1988م/1989م، ص 172.

[3]– عمار بن خروف، المرجع السابق، ص 352.

[4]–محمد أمطاط، الجزائريون في المغرب ما بين سنتي (1830–1962م) –مساهمة في تاريخ المغرب الكبير المعاصر–، تقديم، محمد كبيب، ط01، دار أبي رقراق للنشر والتوزيع، الرباط، ص ص 31–33

[5]– أبو العباس أحمد بن خالد الناصري، الاستسقاء لأخبار دول المغرب الأقصى، ج 3، المصدر السابق، ص 218.

فمن بين أهم الاتجاهات التي قصدها الجزائريون مدينة وجدة التي هاجر إليها أهل تغنيف (معسكر) سنة 1847م المنحدرون من أولاد سي الناصر الحسني، حيث وصل عددهم إلى حوالي 300 عائلة[1]، أما مدينة تطوان فكان أكثر الوافدين لها من مستغانم ووهران، وتلمسان والجزائر العاصمة والبليدة، حيث استقروا في سوق الغزل التي كانت تضم عددا كبيرا من المهاجرين أصحاب الحرف وأهل التجارة[2]، بالإضافة إلى مدينة فاس التي كان أغلب المهاجرين إليها من تلمسان، وتوات، ومعسكر، فاندمج هؤلاء الوافدون مع السكان الأصليين، فمارسوا التجارة والحرف أمثال: أولاد بومزية، وأولاد ابن القيسي، ومن الفقهاء الحاج بن محمد المقري، ومن القضاة محمد بن سعد التلمساني، وكذا محمد بن عبد الله المجاوي[3].

وقد تقلد الجزائريون مناصب سامية في المغرب الأقصى حيث استوزر سلاطينه بعض الجزائريين، مثل محمد المقري كوزير للمالية، ومحمد بن أحمد عبد الله بن منصور التلمساني من كتاب الوزراء، كما تم تعيين القضاة والمترجمين في العديد من الأقاليم المغربية[4].

المطلب الثالث: إسهامات السلطان المغربي في حماية المهاجرين الجزائريين.

لم تقتصر مساعدات السلطان عبد الرحمن للجزائريين على الجانب السياسي والاقتصادي بتقديم العون الحربي وتبادل التجاري فقط، بل تعدى أيضا لحمايتهم حسب ما نص عليه دينه الإسلامي بتقديم يد العون لأخيه العربي المسلم، وظهر هذا من خلال الموقف المتضامن مع المهاجرين الجزائريين في محنتهم منذ وصول أول باخرتين إلى تطوان، حيث قام بتوصيات كثيرة للقائد محمد أشعاش بحسن استقبالهم وإيوائهم كما أعطى عناية خاصة بالعلماء والفقهاء أمثال الفقيه أحمد الشطاب الجزائري[5]، كما قدم مساعدات مالية للأسر المحتاجة، ضف إلى ذلك موقف المخزن فمنذ وصول العائلات الجزائرية، بحيث سمح لهم بالاندماج في جل الميادين، فشكلوا بذلك عنصرا هاما من النسيج الاجتماعي للمغرب الأقصى[6]

[1]– محمد العربي الزبيري، مقاومة الجنوب للاحتلال الفرنسي للجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1971 م، ص 94.

[2]–العيد فارس، المرجع السابق، ص 64.

[3]– المرجع نفسه، ص 73

[4]–محمد الشيخ برابح، خضرة فطيمة الزهرة بن جدو ،الهجرة الجزائرية نحو المغرب الأقصى بعدالإحتلال 1830م ،مجلة تطوير العلوم الاجتماعية،جامعة الجلفة، مج 05، العدد 02،الجلفة،الجزائر، 2012 م، ص169.

[5]محمد أمطاط، المرجع السابق، ص 50.

[6]– أبو القاسم سعد الله، تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992م، ص 102.

خاتمة الفصل:

نستنج مما سبق ذكره في الفصل المعنون بالعلاقات السياسية والاقتصادية والاجتماعية بين الجزائر والمغرب الاقصى، من ناحية الجانب السياسي أنها امتازت بالمودة والمساعدة من قبل سلطان المغرب عبد الرحمان وكما شابها التوتر من جراء ما سعت إلى تحقيقه السلطات الفرنسية في زرع جذور التفرقة والفتنة بين الشعبين الأخوين، أما من الناحية الاقتصادية تواصلت علاقة الترابط والتبادل التجاري بين البلدين رغم الصعوبات التي تعرضت لها القبائل المغربية والجزائرية عند اجتيازها للمسالك الخاصة بمرور القوافل وما تعرضت له من جراء معاهدة تحديد الحدود التي وقعها سلطان المغرب مع السلطات الفرنسية ، كل هذا لم يؤثر على العلاقات الاجتماعية التي ظلت قائمة بين الشعبين وهذا بفضل الحرية التي وجدها المهاجرون الجزائريون على الأراضي المغربية منذ الوهلة الأولى من وصولهم وما قدم لهم من دعم مادي ومعنوي من قبل السلطات المغربية وشعبها المغربي، ما دفع إلى تمازج والتحام الشعبين في كتلة واحدة حتى لا تستطيع التفريق بين الجزائري والمغربي.

الفصل الثاني

العلاقات الجزائرية التونسية 1830م-1850م

تمهيد:

تميزت العلاقات بين الجزائر وتونس بصلة قرابة ومصاهرة منذ القدم، ولا يمكن أن نتحدث عن سائر أطوارها وآثارها، ونتائجها بالدقة التي ينبغي توخيها في هذا المقام؛ لان البحث في جذورها وأعماقها يحتاج على إسهاب من شأنه أن يتطلب المجلدات الضخمة ، وحسبنا في هذه العجالة أن نعرض على بعض جوانب من التواصل بين القطرين والبحث عن مدى استمراره في الفترة الاستعمارية، وما نتج عنه لنستخرج العبرة ونجدد الذكرى والذكرى تنفع المؤمنين.

هذا التواصل بين الشعبين التونسي والجزائري لم يكن وليد ظروف عابرة، بل يعود إلى فجر التاريخ، فقد فرضته وحدة الجغرافيا وعززه التاريخ المشترك، ووفر له دخول الإسلام إلى المنطقة أسباب الاستمرار، كما لم تفتأ عوامل مختلفة كالكيانات السياسية المتعاقبة، والوشائج الاجتماعية المتداخلة، وكثافة التعامل التجاري... تزيده متانة إلى أن ظهرت الأطماع الاستعمارية في القرن التاسع عشر، والتي انتهت باحتلال البلدين، وكانت الجزائر أول ضحية لهذا الاحتلال عام 1830م، ثم تونس1881م.

المبحث الأول: العلاقات السياسية "موقف تونس من الاحتلال والمقاومة"

إن الباحث في العلاقات السياسية بين ما أصبح يسمى سياسيا -بداية من القرن السادس عشر الميلادي – الجزائر وتونس بدل الأسماء الأخرى التي كانت تطلق على هذين البلدين "كالمغرب الأوسط، والأدنى"، يجد أنها قديمة ومستمرة عبر العصور، بحكم الجوار، وعدم وجود حواجز طبيعية تحول دون الاتصال والاحتكاك، والتأثير والتأثر.

كما يجد أن العلاقات بينهما شهدت امتداد واسعا رغم الصراعات التي كانت تحدث بينهما إلى غاية دخول أقدام الاحتلال الفرنسي؛ وتثبيت نفسه بالجزائر سنة 1830م، وبتونس سنة 1881م، مما جعله يرسم حدود بين الإيالتين ويفرق الوحدة والحركة فيما بينهما.

المطلب الأول: الموقف الرسمي" موقف البايات"

كان الموقف الحكومي التونسي مغايرا عن الموقف الشعبي؛ إذ نجد أن الحكومة التونسية أيدت العدوان الفرنسي على الجزائر، بخلاف الشعب التونسي[1]،وقد اتخذت الحكومة التونسية موقفا غير مشرف اتجاه الاحتلال، ففي الوقت الذي المفروض بها أن تقف إلى جانب شقيقتها الجزائر، في ضرب وصد العدوان الفرنسي تواطأت مع فرنسا في غزو الجزائر؛ وذلك لخدمة مصالحها، وقدمت لفرنسا التسهيلات اللازمة لذلك [2]وذلك الموقف السلبي للداي نتج عنها، نجده عائد إلى العلاقات المتوترة بين الجزائر وتونس قبيل الحملة الفرنسية، حيث شنت بينهما حروب لم تتوقف إلا بعد المواسطة بينهم.

وإذا نظرنا إلى الأسباب التي جعلت تونس تتخذ هذا الموقف السلبي، فهذا راجع إلى الحروب التي لم تتوقف إلا بعد أن توسطت الدولة العثمانية بينهما عام 1821م، كما أشار **أحمد الشريف الزهار: " ولما وصلت الفرمانات والرسل لأميري البلدين عندئذ تم الصلح وفرح جميع المسلمين واستبشروا بانطفاء هذه الفتنة[3]".**

بالرغم من نجاح الباب العالي" الدولة العثمانية" في تحقيق الصلح بين الجزائر وتونس، إلا أننا نجد أن الحكومة الفرنسية منعت" ظاهر باشا" المبعوث العثماني من النزول سنة 1829م، وهو ما يؤكد تواطؤ التونسيين "الحكام" مع الفرنسيين منذ بداية الأزمة بين الجزائر وفرنسا، لأنه لم تمكن

---

[1] بشير بلاح: تاريخ الجزائر المعاصر (1989–**1830**)، ج 1، دط، الجزائر، 2006م، ص 60

[2] مسعودي أحمد: الحملة الفرنسية على الجزائر والمواقف 1792–1830، م، دط، دار الخليل، الجلفة، 2013، ص161.

[3] أحمد شريف الزهار: مذكرات نقيب أشراف الجزائر (1754–1830م)، تق وتح: أحمد التوفيق المدني، دط، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974م، ص147.

المبعوث من الوصول إلى الجزائر عن طريق البر لترتب عن ذلك معطيات أخرى، خاصة إذ تمكن من إقناع الجزائريين بقبولهم للشروط الفرنسية.[1]

ومن القضايا التي تؤكد تورط السلطات التونسية، وموقفها المدعم لفرنسا وغزوها الجزائر والحرب النفسية التي مارستها فرنسا من تونس، كمقدمة الحملة العسكرية، قصد خلق الهوة بين الشعب الجزائري وقياداته، وحتى لا تتكاثف الجهود للوقوف في وجه الغزاة؛ إذ قبل أن يغادر الجيش الفرنسي **مدينة طولون** متجها نحو الجزائر أعلن الفرنسيون –الحكومة الفرنسية- بيانا مطبوعا باللغة العربية؛ حولت منه حوالي 400 نسخة بقنصليتها بتونس ومنها مررتها إلى الجزائر[2].و قد ذكر **حمدان خوجة بن عثمان** في كتابه "المرآة" **بأنه رأى بنفسه أثناء سفره إلى قسنطينة البيانات المختلفة التي يكاد معناها واحد وأن مضمونها قد ساهم في التأثير على النفوس في استمالة الناس نحو الوسائل السلمية وقد دفعهم إلى الابتعاد عن الداي رغم قرار المجلس الأعيان الذي دعا إليه للنظر في موضوع مواصلة الحرب كانت بإجابة واحدة هتفت "سنحارب إلى أن نستشهد** على آخرنا "[3]

ولم يقتصر أمر الحكومة التونسية عند هذا الحد من الاحتلال الفرنسي بالجزائر بل ذهب إلى ابعد من ذلك ، حيث منحت مساعداتها لأعوان المخابرات الفرنسية الذين أوقفتهم حكومة باريس إلى الجزائر.

لقد كانت تحركات قنصل فرنسا بتونس قوية ومنسقة مع أجهزة للحملة وكان الجواسيس والمفاوضون قد تسربوا نحو قسنطينة وعنابة محاولين بذلك لسد الثغرات وعزل سلطات الإقليم عن السكان، المعروف أن الفرنسيون كانت لديهم مصالح تجارية وحتى عسكرية جهة عنابة والقالة، وكانت لهم معرفة بالمنطقة وعادات السكان وحتى ببعض التجار والعلماء، ولكن منذ الحصار الفرنسي سنة 1828م ضربت وضعفت تلك المصالح وثقلها حجم النفوذ الفرنسي.[4]

وكما فرنسا في تنفيذ حملتها على الجزائر أظهرت تونس استعداداتها العسكرية لفتح أراضيها أمام الجيش الفرنسي لمهاجمة الجزائر برا وذلك من الناحية الشرقية، وقد تأكد ذلك من خلال موقف الباي المتحيز للطرف الفرنسي حيث أسرع بإرسال وفد لتهنئة المارشال **دي بورمون** بانتصاراته على الجزائريين، ويبدو أنه كان متلهفا على هذه التهنئة؛ فوصل الوفد التونسي قبل أن يتم المارشال انتصاره في 5 جويلية.

---

[1] شويتام أرزقي: مواقف الدول من الاحتلال الفرنسي، مجلة الدراسات التاريخية الصادرة عن معهد التاريخ، ع6، الجزائر، 1992م، ص125.

[2] أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج1، دار الغرب الإسلامي: بيروت، ص187 .

[3] حمدان بن عثمان خوجة، المرآة، تق وتع وتح: محمد العربي الزبيري، طبع المؤسسة الوطنية للفنون المطبعيةــ الجزائر، 2006، ص10.

[4] حمدان خوجة، مصدر سابق، ص9.

لم تكتف الحكومة التونسية بتقديم التهاني للفرنسيين؛ بل رحبت كذلك بالعروض المغرية المقَّدمة من طرف السلطات الفرنسية؛ والتي قدمها الجنرال**كلوزيل** والمتمثلة في عقد اتفاقية سياسية معه يتم بموجبها تعيين أمراء تونسيين على البعض من الأقاليم الجزائرية مقابل دفع مبالغ مالية تكون سنوية للحكومة التونسية[1].

وفي شهر أكتوبر 1830م أرسل باي تونس بعثة إلى الجزائر يترأسها الضابط **محمد شوداق، وحسن مورالي** استقبلهما الجنرال كلوزيل؛ وأجريت بينهم مباحثات شملت الطرفين، استطاع من خلالها الحاكم العام الفرنسي أن يورط باي تونس في احتلال فرنسا للجزائر، وأنه باع إقليم قسنطينة إليه بقيمة مليون فرنك سنويا في 18 ديسمبر 1830م؛ على ان يتولاه صهر باي تونس. كما باع إقليم وهران بمليون فرنك سنويا في 6فيفري 1831م[2].

غير أن السلطات الفرنسية رفضت هذه الاتفاقية، وهذا ما أدى بباي تونس إلى سحب جنوده من ولاية وهران في 22 أوت 1831م، وأنهيت مهام الجنرال كلوزيل في الجزائر في 2 فيفري 1831م. ولم يتورع حكام تونس عن مواصلة تأييد الغزاة وعدائهم للمقاومة، بحيث حاولوا زعزعة مركز **أحمد باي** بحجز مدافع أرسلتها الدولة العثمانية سنة 1837م.[3]

وسياسة بايات تونس كانت نتيجة اعتبارات يمكن تلخيصها في النقاط التالية:

أ- التدخل الفرنسي المحسوس في شؤون تونس الداخلية وبخاصة السياسية منها وكذا الاقتصادية إلى جانب التهديد الفرنسي الرسمي المباشر.

ب- المعاهدات التي فرضت على باي تونس وكان معظمها لصالح فرنسا.

ت- سوء العلاقات بين الإيالتين " الجزائر وتونس"

ث- تخوف بايات تونس من الأطماع الفرنسية واحتلالهم لتونس[4].

المطلب الثاني: الموقف الشعبي

لم يكن الشعب التونسي على علم بتصرفات إيالتهم إزاء ما يحدث في الجزائر، كما لم يكونوا في موقف يسمح بالتعبير عن مشاغلهم، لكن مؤرخهم الشهير لم يول أي اهتمام للموضوع بحكم أنه مؤرخ بلاط، ولا يعقل أن يكون موقفه معادٍ للحكام المتواطئين، وتبرر معاهدة 18 ديسمبر 1830م

[1] نفسه، ص263-268.

[2] أبو قاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية 1830-1900م، ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992م، ص45

[3] بشير ملاح، مصدر سابق، ص61

[4]- http// toorikhs .blogspot.com/ everychima.com.29/5/2022.15.47.

مدى استقلال الباي التونسي للظروف التي ألمت بالجزائر نتيجة لطمعه وهو تصرف يدل على الخيانة وبعد توقيع الاتفاقية انتشرت رسائل في إقليم الشرق من باي تونس تدعوا للثورة ضد أحمد باي.[1]

وتعلن انضمام قسنطينة إلى تونس، وتصف أحمد باي بالمستبد بالطاغية والخارج عن طاعة السلطان، ولم تنشر تلك الرسائل، لقد تصدى حكام تونس إلى كل مساعدة تصل إلى الجزائر وخاصة بايلك الشرق، ويبدو أن أحمد باي أحس بهشاشة الاتفاق التونسي الفرنسي؛ وظل باي تونس يوجه الرسائل للشرق الجزائري يخبرهم بعدم استرجاع قسنطينة، ولقد انتقل الصراع بين باي تونس وأحمد باي إلى مقر الخلافة، حيث أن باي تونس غضب بعد أن تلقب أحمد باي **بالباشا** وصك العملة باسمه سنة 1830م، وهو ما دفع بالباي التونسي إلى مراسلة السلطان في اسطنبول محذرا إياه من انفصال أحمد باي عن السلطة العثمانية، وعلم أحمد باي بذلك فبعث بوثيقة ممضية من قادة بايلك قسنطينة تتعرض إلى دار في الديوان بهذا الشأن والرأي الذي تم التوصل إليه. وفي الأخير قام السلطان العثماني بإعطاء النصائح باعتباره خادما له، غير أن السلطان لم يقدم إلا التهاني والدعوات بالخير والفلاح لأحمد باي، وبعد علمه بدسائس الباي التونسي انتقلت المعركة من مقر السلطان العثماني إلى وفود الباي تتوجه إلى الباب العالي؛ لكي تفند ما ورد من مزاعم الباي، وتوجه وفد في جويلية 1835م، برئاسة علي بن عجور والحاج مصطفى إلى إسطنبول، وحمل معه إلى السلطان موقف الإدارة العامة لسكان البايلك التي استندت إلى توقيفات رؤساء البلديات بالضرب من الأسطول الفرنسي؛ إذ نزل الجنود العثمانيون على أرضه أرسل إلى القبطان العثماني يأذن له بإنزال المدافع فقط.[2]

أما الجنود فقد اعتذر عن إنزالهم وقد اعتذر الباي التونسي مصطفى باشا إلى احمد باي عن موقفه هذا على أساس لأنه لا يريد أن يجلب الحرب إلى بلده عند سماحه للجيش بالنزول ، وتأسف عن الظروف التي اضطر فيها حجز معونة كانت موجهة إلى حماية المسلمين والإسلام، ويعود تصرف الباي التونسي إلى الوقوف في وجه الجزائريين والعثمانيين أي عمل ممكن لأن يعطي دعما أو مساندة للمقاومة، وطمعه في ضم إقليم قسنطينة إلى تونس وهذا إضافة إلى الضغط الذي مارسه الفرنسيون عليه وعلى الباب العالي كي لا يمنح لقب الباشا إلى أحمد باي، ومحاولة فرض حصار اقتصادي على بايلك الشرق، ووضع التجارة والتعامل عن طريق تونس، وهو ما يدعم أوامر فرنسا، وعمل الإدارة الاستعمارية في الجزائر على ربط التعامل الاقتصاد مع تونس، ومحاولة الاستفادة من الإمكانيات لتجهيز حملة على بايلك الشرق، إذ طلب "دورفيقر" يوم 25 جانفي 1832م التدخل لدى باي تونس والحكومة التونسية من أجل تزويده بمادة الصوف حتى ستطيع توفير الأفرشة والأغطية

[1]– نصيرة نواصر، مواقف تونس والمغرب من الاحتلال الفرنسي للجزائر 1830-1847م، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، تخصص العلاقات بين ضفتي البحر المتوسط، جامعة الجزائر ، 2010-2011م، ص ص 80-82

[2]نصيرة نواصر، مرجع سابق، ص82.

الخاصة بالجيش والاستفسار من عدد وثمن الأحصنة، وتزويد فرنسا بما لا يقل عن 300 و400 حمار قوي وذلك من اجل الهجوم على قسنطينة[1].

المبحث الثاني: العلاقات الاقتصادية

تعتبر المبادلات التجارية إحدى آليات التواصل والتعارف والاندماج بين الأقطار العربية خاصة الجزائرية والتونسية، باعتبارهم دول مغربية تحافظ على العادات والتقاليد منذ العصور القديمة، ومن بداية القرن السادس عشر إلى غاية القرن التاسع عشر الميلادي، كانت الجزائر تتوفر على شبكة طرق تربط بين البلدين، والتي تساهم في تنقل الأفراد والقوافل بشكل مستمر دون انقطاع، كما ساهمت في جانب آخر في تمتين وتوطيد العلاقات.

المطلب الأول: المبادلات التجارية

كان التبادل التجاري بين تونس والجزائر منذ الفترة الحديثة والمعاصرة، وساهمت الجزائر في تنشيط هذا التبادل بسبب موقعها الجغرافي الذي يحتل الوسط، وبذلك حفزت عملية التواصل التجاري مع إيالة تونس في الشرق وذلك عائدا إلى القوافل الحجية التي كانت تمر من مناطق الجزائر لتصل إلى تونس ثم إلى الشرق، وهذا ما ساهم في ازدياد قيمة المبادلات التجارية على الرغم من أن بعضها كان يتم بالمقايضة.

الصادرات والواردات الجزائرية:

ارتكزت الصادرات الجزائرية على الثروة الحيوانية بين تونس والجزائر، وتحمل معها مراسلات كانت القوافل تنطلق من مراكز أساسية ثم تعود إليها وأهم هذه المراكز نجد:

إقليم الشرق الجزائري: قسنطينة، بما يضمه من مدن من الجنوب الجزائري، تدخل ضمن إطاره الإقليمي كمدينة الوادي، والمدن التي تجاورها كمدينة **تقرت " ورقلة"**، وكانت هذه المراكز وما يقابلها في تونس على درجة عالية من الدقة والتنظيم، حيث كان بمقدور التاجر أن يجد يوميا قافلة يسافر معها ذهابا وإيابا[2]، وكانت القوافل تحمل لتونس مختلف الصادرات نذكر منها:

التمور: كانت مدينة الوادي تنتج من أنواعها الجيدة كميات هائلة، لكونها تتوفر على أعداد هائلة من النخيل التي تصل إلى حوالي مئة وخمسين ألف نخلة.

---

[1]. نفسه، ص81.

[2] محمد العلمار، الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج، الجزائر، ص49.

التبغ بنوعيه: الرطب والقوي، ويعتبر من أطيب الأنواع، وأهم المحاصيل الجزائرية التي كانت تصدر بشكل كبير إلى تونس[1].

المنتوجات الصوفية: من برانيس وجيب صوفية، وجلاليب رجالية، حيث كان لها سوق رائجة بتونس، وتعتبر من أهم الحرف المنزلية التي تمارسها النساء الجزائريات من اجل مساعدة أزواجهن وأولادهن[2].

الجلود المدبوغة: حيت كانت تدفع بالتقريب اثنان وثمانين ألف جلد مدبوغ في كل سنة.

الشواشي الجزائرية: أو ما يعرف بالطربوش والعمامات التي كانت تحظى بطلب كبير للاستعمال اليومي، لكونها كانت أرخص سعر من الشواشي التونسية وذات جودة عالية من ناحية القماش وطريقة العمل.

الذهب: خاصة أثناء احتياج العملة التونسية إليه، كما استوردت تونس من الجزائر الحديد والصلب والجور.[3]

الصادرات والواردات التونسية:

كان النشاط التجاري بين تونس والجزائر خاصة في الشرق على درجة كبيرة من النشاط والفاعلية، لذلك كانت تحظى بتجارتها رواجا كبيرا. واهم المنتجات التي سوقت للجزائر من تونس تمثلت في المواد العطرية ،العقاقير والأدوية ،الأسلحة والأقمشة الحريرية ،الكبريت ،الخيوط المذهبة ،مستلزمات الإعراس ،مستلزمات التجهيز المنزلي ،الأقمشة والزرابي ،الجلود المصبوغة ،البلاغي (الأحذية)

جدول : جامعة لأهم عمليات التصدير والتوريد التي كانت تتم بين الشرق الجزائري والأسواق التونسية[4]

أهم الأسواق	المقاصد	المواد المصدرة	مواد المستوردة
قسنطينة	تونس	الصوف، الجلود المدبوغة، التمور الممتازة، الشواشي العادية، ريش النعام.	المصنوعات الأوربية، العطور، التوابل، القهوة، الأقمشة

[1] نفسه، ص49

[2] أحمد بن الطاهر منصوري: الدر الموصوف في تاريخ سوف، دار الهدى، دم ن، دت، ص52.

[3] محمد العربي الزبيري: التجارة الخارجية للشرق الجزائري، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر، دط، دت،ص153.

[4] محمد العربي الزبيري، مرجع سابق، ص112

			القطنية الحريرية
تقرت	نفطة غدامس	الأقمشة الصوفية، التمور، المظلات، الحبوب والزيوت	الأقمشة القطنية، العطريات، المصنوعات الأوروبية، جثث النعام، البخور من السودان.
الوادي	نفطة	التبغ والتمور	مواد البزارة، العطور، الأقمشة، الأسلحة والكبريت.
ورقلة	غدامس	الأقمشة الحريرية والقطنية، التمور والحبوب، الزيوت والأسلحة والعملة	التبر، العبيد، العاج، البخور السوداني والكثير من المنتجات الإفريقية.

المطلب الثاني: الأسواق التجارية

كانت الأسواق في المدن والأرياف يشرف عليها البايلك والغرض من ذلك الحصول على الرسوم ،و ازدهرت هذه الأسواق بفضل قبائل أولاد سيدي الشيخ والأرباح وأولاد الناحل والنمامشة ،التي تبادل منتوجاتهم القمة ن الجنوب وتونس وحتى أوروبا ،فاعتبار الأسواق مجال يفسح عملية التبادل التجاري بين مختلف المناطق يسام هذا بشكل كبير في رسم شبكة الطرق بين البلدان المغاربية ،فكانت نفسها مناطق للانطلاق والرجوع وفي هذا الصدد وصفها العياشي:"**و نزلنا ببلاد اوكيرت ... واشترى الناس منها ما احتيج اليه من الزاد الى بلاد اواكلا... واقمنا يومين وبذلنا من الأعابر ما ضعف.**[1]

و من أهم هذه الأسواق نذكر:

سوق قسنطينة: يعتبر اكبر الأسواق في ذلك الحين ،يأتي إليه التجار من كل النواحي يحملون معهم منتوجاتهم لبيعها وتصديرها إلى البلدان المجاورة كتونس ،ليستوردوا منها صناعات أخرى ،و كان لقسنطينة دورا هاما في تنشيط عملية التبادل التجاري التي شجعت عملية النشاط التجاري داخليا وخارجيا ،فتحولت إلى نقطة ملتقى مختلف القوافل التجارية من مختلف الأنحاء سواء تونس أو غيرها وكانت تحمل هذه القوافل بضائع زراعية ،حيوانية وصناعية.[2]

وادي سوف: تعتبر وادي سوف من أكبر الأسواق بعد قسنطينة، وكانت بدورها تشكل همزة وصل للتجار من مختلف الجهات والواحات، وكان أهل هذه المناطق على دراية كافة من الحيوية

[1] كحلي زبيدة لزعر كترة: العلاقات الجزائرية التونسية المغربية من القرن 17 الى القرن 19 (1671م–1848م) ،جامعة الجيلالي بونعامة ،خميس مليانة ،2017–2018م ص 88–89.

[2] محمد العربي الزبيري: مدخل إلى تاريخ المغرب العربي، دط، مطابع المؤسسة الجزائرية، 1975، ص81

والذكاء في الميدان العملي والاقتصادي، وكانت تشمل العديد من البضائع والتمور والتبغ، كما اشتهرت منطقة وادي سوف بصناعة المظلات والأقمشة الصوفية.

ورقلة: اكتسب شهرتها من نشاطها الكبير والمميز سابقا، فكانت تعتبر ملتقى تجاري وعقدة مواصلات، ومحطة للقوافل التجارية في الصحراء وتربط أقاليم المغرب، وكان تجار تونس يأتون إليها كي يعرضوا سلعهم للبيع .[1]

تقرت: كم أهم أسواق الواحات، وقد ساعدها نشاطها التجاري المكثف على توفر شبكة المواصلات، وطرق هامة لعبت دورا مميزا في تنشيط عملية التبادل التجاري فيها، واشتهرت بكثرة إنتاج التمور، وصناعة الأقمشة الصوفية، وكانوا يتجهون بها إلى الجنوب التونسي، وفي المقابل يجلبون منها كثيرا من الأقمشة القطنية والعطور المستوردة من أوربا ثم يبيعونها بالأسواق المحلية.[2]

تيميمون: ونظمت أسواقها إلى مجموعة من الأصناف قسمتها على النحو التالي:

سوق بيع القطن والتوابل، سوق الرحبة "بيع الحبوب والتمور" **سوق الخضرة "الخضر والفواكه"**، سوق الدخان **"التبغ"**، سوق الماكلة **"الأغذية التقليدية والمجهزة"**، سوق العبيد "بيع العبيد.."[3]

عنابة: ذكر **وليام سبنسر** أنها ارتفعت في إنتاج الحليب ومشتقاته خاصة الزبدة، وكانت تصدره إلى مدينة تونس، وجزيرة جربة، وبهذا الصدد قال "... **كان لها وطن شهي يحتل المقام الأول من الاتساع والجود، وهو يمدها بكمية كبيرة من الذرة التي تحمل لها، فتتغذى الأبقار والأغنام الأخرى، وبهذا** الإنتاج البهيج، فليست مدينة عنابة وحدها التي تتزود بالحليب والزبدة ولكن مدينة تونس وجزيرة جربة.."[4] .

جيجل: كان تجارها يترددون باستمرار على مدينتي الجزائر وتونس بغية تصدير منتوجاتها من الجلود والشموع والزيوت.[5]

---

[1] ناصر الدين سعيدوني: ورقات جزائرية، ط2، دار البصائر، الجزائر، 2009، ص46 .

[2] محمد العربي الزبيري، المرجع السابق، ص ص156-157.

[3] عبد الوهاب حسني: خلاصة تاريخ تونس، دط، الدار التونسية للنشر، 1983، ص52 .

[4] وليام سبنسر،الجزائر في عهد رياس البحر، تع: عبد القادر زبادية، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر،80 19،ص140.

[5] ناصر الدين سعيدوني ، المهدي بوعبدلي، الجزائر في التاريخ –العهد العثماني –، مرجع سابق، ص50.

المطلب الثالث: العملة (النقود)

تدخل العملة ضمن النشاط التجاري الذي عرفته الإيالتين (تونس والجزائر)، منذ بداية تأسيس الدولة عملوا على بناء دور لضرب وصك العملات بمختلف أنواعها ذهبية وفضية ونحاسية، وقد تعددت تسميات النقود وقيمتها من فترة إلى أخرى، أي حسب الظروف السياسية التي عرفتها.[1]

هكذا وكانت العملات الجزائرية مصنوعة من معادن مختلفة، فوجدت العملات الذهبية والفضية والنحاسية، فالعملات الذهبية كانت تتكون من السكة أو السلطاني، ونصف السلطاني، والربع السلطاني، أما العملات الفضية فكانت تشمل ريال بوجو أو بدقة قوردة، وزوج بوجو أو دورو بالجزائر، ربع بوجو وثمن بوجو، في حين أن العملات النحاسية البرونزية كانت تتفرع إلى الخروبة ودرهم الصغير، وزوج دراهم صغار، والأمير النحاسي، والفلس.

تغيرت العملة الجزائرية إلى العديد من التغيرات والاهتزازات في قيمتها بسبب عدم استقرار الوضع الاقتصادي، وما انجر عنه من تذبذب في أسعار الميزان والتبادل التجاري، إضافة إلى سياسة الحكام الذين كان لهم دخل وصلاحيات في أن يقرروا قيمة العملة، ويجددوا كمية المعادن الداخلة في تكوينها، كما كانوا يصدرون الأوامر لإضافة بعض المعادن الثمينة للقطع النقدية، كما أن بعض الأوامر كانت تتعلق بتخفيض قيمة العملة.

تميزت العملة الجزائرية ببعض الصفات التي صبغت عليها نوعا من الاستقرار والثبات مثل محافظتها على ما كان متعارفا وجاريا به العمل منذ القديم، فلم تصبح تابعة للمسكوكات التركية في قيمتها ومكانتها وأسمائها، وأما الصفة الثانية التي اكتسبتها في مجال التقييم كون الأجانب لم يأخذوا بعين الاعتبار واقع النقود الجزائرية، بل كانوا يحددون أسعار عملاتهم، وكذلك العملات الجزائرية حسب قيمة نقودهم الخاصة.

ومن المشاكل التي عانتها العملة الجزائرية تعرضها لمنافسة النقود المزيفة لاسيما بعد أن انتشرت هذه النقود المزيفة، وتضخمت كميتها في أسواق التبادل التجاري، وأصبحت تشكل خطرا في العملة الجزائرية والأجنبية على حد سواء[2].

وهنا تجدر الإشارة إلى أن العملات التونسية كانت متداولة بالإيالة الجزائرية، وقد احتلت المرتبة الثانية بعد العملات الأجنبية، وكذلك بحكم روابط الجوار وتشابه نظام الحكم، وبعود ذلك

[1] صدام رزيم، عبد القادر فكاير:**تداول النقود التونسية في الشرق الجزائري خلال العهد العثماني 1519–1830م**، الاكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، مج14، ع1، 2020م، ص96.

[2] محمد حلوان،العلاقات بين إيالة الجزائر وإيالتي تونس وليبيا 1750–1830، رسالة ماجيستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجيلالي اليابس سيدي بلعباس، 2014–2015م، ص197

أيضا إلى أهمية التبادل التجاري بين تونس والجزائر، فقد كانت هناك عوامل وقوافل تجارية هامة تربط بين مدينتي قسنطينة وتونس.

ومن أهم العملات التونسية التي كانت مستعملة بالإيالة الجزائرية نجد الدرهم الناصري ثم النصري الحيدري، لكن الريال التونسي الفضي أزال الدراهم **الناصرية والحيدرية** من أسواق التبادل النقدي، وأصبح مواد العملة التونسية الرائجة ببايلك الشرق الجزائري.

وقد ظهر الريال التونسي في أسواق العملة وظل مقتبسا من الريال الاسباني أكثر من قرن، ولم يتخلص من تبعيته إلا بعدما تمكنت تونس من صك ربع ريال[1].

فيما يخص إيالة تونس فإن النقود التي كانت متداولة في تلك الفترة هي الناصري وهي عملة فضية مربعة الشكل، أما العملة النحاسية فتركزت على الفلس، والعملة البرونزية في تلك الفترة هي القفصي، كانت العملة التي تصك في تونس تحمل اسم السلطان العثماني في اسطنبول، ومن ذلك ربع الريال القفصي؛ كان يحمل سلطان البحرين وخاقان البحرين السلطان أحمد بن محمد بن خان، اكتمل النظام النقدي بصك النقود الذهبية من فئة السلطاني وفضية من فئة الريال وصك قطعة نقدية من فئة نصف خروبة وهي أصغر النقود.

جدول لأهم النقود التونسية المستعملة في الجزائر[2].

نوع النقود	قيمة النقود وأوزانها
السلطاني التونسي	غ ذهب3.5
الريال التونسي	غ16
	ب ش3.4
	نصري0.75
الدرهم الناصري	فل2
الفلس	نصف
الاسير القفصي	نصري
فلس رقيق	قفصي0.12
فلس	قفصي0.5

[1] نفسه، ص198

[2] محمد حلوان، مرجع سابق، ص198.

الجدول: قيم وأوزان النقود التونسية المتداولة في الجزائر[1]

انواع العملات	اوزانها غ	قيمتها
الذهبية سلطاني نصف سلطاني	غ3.50 غ1.75	ناصري 80 Aspers ناصري40
فضية Paistrريال تونسي ربع ريال ثمن ريال karrobaخروبة Nasriناصري Asperاو نصري حيدري	غ 14.9 إلى0.7 غ 0.55الى0.35	خروبة16 خروبة 14 خروبة 2 ريال1/16قفصى أو 39 ريال 1 أو 104 فلس أو 2
النحاسية Bourbe (fels)فلس او فلس رقيق Qafsiقفصي bourbine	غ15إلى 1.4 غ1.80إلى 0.6	ناصري قفصي أو نصف 6 ناصري 1/12

المطلب الرابع: المحطات والطرق التجارية

لقد كانت تونس من اقرب الدول المغاربية للجزائر من ناحية الأسواق التجارية، وكانت تربط بينهم مجموعة من الطرق المختلفة وكانت تنقسم إلى طرق تجارية كبرى وطرق تجارية جهوية ومن هذه الطرق التي تربط الجزائر بتونس نذكر:

- الطريق الشمالي والذي يربط تونس بفاس ويمر بكاف وقسنطينة وسطيف والبويرة والجزائر ووهران

[1] ناصر الدين سعيدوني: النظام المالي للجزائر في الفترة العثمانية 1800–1830، الجزائر، المؤسسة الوطنية للنشر، 1979م، ص190.

وتلمسان ووجدة

- الطريق الأوسط والذي يربط قفصة بمدينة فكيك ثم مرورا بمدينة بسكرة والاغواط وسيدي الشيخ

- **الطريق الجنوبي** ويربط تافيلات ثم يمر على أهم واحات الجزائر

- **الطريق الغربي** والذي يربط وادي سوف بالعاصمة ،و يمر بمدينة بسكرة ومدينة بوسعادة

- **الطريق الشرقي** والذي يربط واد ميزاب بتونس ،ويمر بالاغواط وبوسعادة وقسنطينة والكاف[1]

في حين نجد أن الطرق الرئيسية بين تونس والجزائر هي كالأتي

طريق تونس والذي يبدأ من مدينة قسنطينة ويسير نحو الجنوب قليلا ليمر بالخروب ثم يرتفع نحو الشمال الشرقي ويشق كثيرا من أهمها الوادي الزناتي ومجاز عمر، وسوق أهراس قبل أن يصل إلى مدينة الكاف التونسية ومنها إلى تونس العاصمة ولقطع هذا الطريق يستغرق السير مدة خمسة وعشرون يوما عاديا وعلى الرغم من أن السير مدة طويلة فان الرحلة إلى تونس ممتعة لان القافلة تجد دائما وبدون عناء كبير كل ما يحتاج إليه مرافق السير[2]، ولذلك كان كراء البغال من قسنطينة إلى تونس معتدلا للغاية يتراوح ما بين 15إلى35 فرنك للبغل الواحد في الذهاب وما بين 30 إلى 40 فرنك في الإياب وبديهي إن سعر الإياب أغلى لان التاجر يجلب معه سلعا تعود عليه بأرباح متوافرة.

طريق قفصة ونفطة: والذي يبدأ من مدينة الوادي ثم يسير شمالا نحو محطة قمار حيث ينقسم فيخرج منه فرع يتجه مباشرة إلى مدينة نفطة ويواصل الأصل نحو الشمال الشرقي إلى قرية فزن ،حيث ينظم تجار الزيبان إلى القافلة ،وبعد ذلك يميل أكثر إلى الشرق ليتوقف في مدينة قفصة، وإذا كانت المسافة بين الوادي ونفطة لا تتطلب سيرا أكثر من ثلاثة أيام عادية ،فان الذهاب إلى قفصة يستلزم أكثر من خمسة أيام عادية ،وعلى العموم فان الطريق سهل ،فيه الكثير من المياه ،ولا تتعرض فيه القوافل إلا لبعض الكمائن التي ينصبها من حين لآخر سكان واحة غدامس لنهبها تنكيلا بأبناء سوف الذين كانوا يغيرون عيهم لنفس الغرض[3] .

طريق نفطة وغدامس: والذي ينطلق من تقرت ثم يتجه نحو الشمال لير بمحطة الفيض حيث ينظم تجارة بسكرة إلى القافلة ،وبعد ذلك يعود نحو الجنوب الشرقي إلى كوينين ،ومنها يأخذ اتجاهين أساسين احدهما شمالا نحو مدينة نفطة ،وثانيهما نحو الجنوب إلى سوق غدامس مرورا بمرحلة البئر

[1] محمد العربي الزبيري، المرجع السابق، ص67.
[2] نفسه، ص68
[3] محمد حلوان، مرجع سابق، ص189.

الجديد، وإذا كان الطريق إلى غدامس يقطع أكثر من خمسة أيام، لا تتعرض فيها القافلة إلى أخطار الطبيعة نظرا لانتشار الآبار والعمران ،فان الكثبان الرملية المتنقلة لا تساعد إطلاقا على القيام بالرحلة من تقرت إلى غدامس لأنها تذهب المعالم وتطمس الآبار، وتقرت هي مدينة الثروة والرخاء واهم عواصم وادي ريغ، وتشتمل دائرتها على ثمان وثلاثين قرية أهمها كوينين التي تلتقي فيها كثير من قوافل الناحية المتوجهة إلى بلاد الجريد، ويعتبر سوق تقرت ثالث الأسواق والواحات بعد الوادي وورقلة، وبما أن وادي ريغ ينتج التمور بكثرة ويصنع الأقمشة الصوفية العادية، فان تجار تقرت يحملون إلى الجنوب التونسي بعضا من هذه المنتجات والمصنوعات ويجلبون منها كثيرا من الأقمشة القطنية، والعطريات المستوردة من أوروبا فيوزعونها على الأسواق المحلية[1].

طريق غدامس : والذي يخرج من ورقلة ويتجه مباشرة نحو الشرق عبر الفيافي إلى أن يصل مدينة غدامس، وهو طريق صعب للغاية، مغطى بكثبان رملية متنقلة ،ويتطلب قطعه عشرة أيام من السير السريع تطوي القافلة أثناءها مائة وستين ميلا ولا تجد فيه سوى مرة واحدة بعد المنطلق، ومع ذلك فان تجارا قلة يسافرون باستمرار إلى هذه السوق التي تلتقي فيها قوافل تونس، وطرابلس، والسودان ،والجزائر تتبادل ما عندها من سلع وتعود إلى منطلقاتها، وقد كان هناك عامل ساعد على توطيد العلاقات بين ورقلة وغدامس يتمثل في التنافس الذي لا ينقطع بين واحة الوادي وسكان غدامس، هذا وقد كانت القافلة تخرج من ورقلة محملة بالأقمشة الحريرية والقطنية ،وبالتمور، وبالحبوب، والزيت، والأسلحة ، وفي أثناء عودتها تجلب معها التبر والعبيد ،وجثث النعام والعاج والبخور ،وغير ذلك من المنتجات الإفريقية[2].

[1] محمد حلوان، مرجع سابق، ص190.

[2] محمد حلوان، مرجع سابق، ص190

المبحث الثالث:العلاقات الاجتماعية والثقافية

إن العلاقات بين البشر لا تكمن فقط في الخلافات والحروب؛ بل وجد جانب آخر يتمثل في الصلات الفكرية، والروابط الثقافية، لما يمكن أن ينشأ من علاقات طيبة بين قطرين شقيقين، كما يتواجد في هذه الصلات مثالا فريدا من نوعه لعلاقات الجوار الايجابي بين الشعوب وبخاصة المسلمة والتابعة نفس الوقت لنفس الخلافة الإسلامية، والتي تجمع بينهما حدود مشتركة مثل ما كان الحال في الزمن الماضي ولا يزال يتواصل إلى يومنا هذا.

تمثل الروابط الاجتماعية إحدى صور التواصل بين الجزائر وتونس معبرة لنا مدى الاحتكاك الايجابي الذي كان بين الشعبين؛ وقد حاولنا تصنيفها على النحو التالي:

المطلب الأول: دور القبائل في توطيد العلاقات

عرفت الحدود التونسية الجزائرية من قبل عدم الاستقرار، وتبين ذلك من خلال الصراعات القائمة بين القبائل القاطنة بين الحدود خاصة، تكون تارة من الجانب التونسي، وتارة أخرى من الجانب الجزائري، كانت تعيش هذه القبائل في الغابات الشاسعة المستقلة، تعتمد على تربية الحيوانات، وممارسة الزراعة، وكانت خاضعة لفترة معينة للإيالة الجزائرية، ثم تمردت عليها وقدمت الولاء للإيالة التونسية، وأحيانا أخرى ترفض الولاء والطاعة لكل منهما، وكانت تتمركز هذه القبائل : قبائل الحمير، خط الطول الممتد من الشمال الشرقي إلى الجنوب الغربي، **فقبيلة بنو مازن، أولاد علي والمرازنة وقبيلة الوشلاطة، وقبيلة أولاد منصور، وقبائل النهد.**[1] هاجر كثير من أهل تونس إلى سوف بسبب ظروف متعددة ومنها الخلافات واستقروا بالمنطقة وتزوجوا واندمجوا في عدة قبائل ،فقبيلة أولاد احمد ومهنا سيدي محمد الجديدي القيرواني الأصل ،بعد هجرته انظم إلى قبيلة **عميرة السوفية**[2] حيث تزوج ابنتهم ،كما هاجر الشيخ بلقاسم بلحداد الذي يعتبر من كبار قبيلة أولاد العبيدي ونزل عند احد أبناء سيدي مستور الذي وجه ابنته مبروكة، وآخرون هاجروا من الأراضي التونسية كالنوابلية من نابل بلدة من نواحي سوسة وأولاد العربي من دوز التونسية ،فتجد الشراردة من وتوزر الماطرية من بلدة ماطر التونسية ، وأهالي من توزر ،وعائلة العمودي من نفطة، ومصغرنة من القيروان ،والشرايطية من همامة تونس ...أما الاعشاش فتجدهم العش بن عمر البربوعي وهو من

[1] حمام صورية، العلاقات بين إيالتي الجزائر وتونس خلال القرن الثامن عشر، رسالة ماجيستير، جامعة وهران، 2012-2013، ص ص165-166.

[2] **قبيلة عميرة السوفية:** فهم من بني غطية، أولاد عطوة بن عطية، نزحت من الحجاز وسكنت مصر ثم ليبيا ثم انتقلت إلى تونس والجزائر وسكنوا هذه الديار في واد سوف. ينظر: الجباري عثماني: منظومة التسمية في واد سوف، مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية، ع4، 2014، ص190.

اكبر زعماء القبيلة ،كان شخصية لها هيبتها في القرية من نواحي نفراوة التونسية يقال لها تكين الكبرى[1].

كانت قبائل أولاد بليل وقبائل أولاد سعيد تقطن في شرق بايلك قسنطينة ،لكن بسبب الصراع بينهما والحكم تسببها في ممارسة بعض التجاوزات اتجاه التجار الذين اشتكوها بدورهم إلى الباي ،أرسل لهم فرقة عسكرية لتأديبهم وقطع دابر هذه القبائل الثائرة .

أيضا وجدت علاقة مصاهرة بين باي تونس علي باي ،حيث تزوج بنت الشيخ سلطان الحرار بقبيلة الحنانشة ،أيضا تجسدت العلاقة بين تونس والجزائر بفضل الترابط والتحالف الذي كان يحدث بين قبائل الحدود ،ومثال على ذلك تحالف قبيلة الدوايدية التونسية مع القبائل الصحراوية من اجل تقديم المساعدة لعلي باشا التونسي الذي ثار ضد عمه حسين ابن علي، وبعد وصول علي باشا الى الأراضي الجزائرية تلقى الدعم من طرف قبائل وأولاد مقران والمجانة .

الجدول : القبائل التونسية التي استقرت بالجزائر[2]

القبائل	الأصل	مكان الاستقرار بالجزائر
الدريد	من تونس	قسنطينة
الممنوعة	من قبائل الدريد	قسنطينة
ولهامة	من صحراء ايالة تونس	الجنوب الشرقي بالجزائر
الشيابو أو الشعابة	الشمال الغربي لتونس	استوطنت عنابة اثر الطاعون
بنومروان	من بلاد الجريد	شرق الجزائر
أولاد سنان	من بلاد الجريد	القالة
الحنانشة	من تونس	قسنطينة
أولاد الشيخ	من تونس	قسنطينة

[1] حمام صورية، مرجع سابق، ص166.
[2] نفسه، ص97.

المطلب الثاني: دور المصاهرة والهجرة في توطيد العلاقة بين سكان الجزائر وتونس

أ- دور المصاهرة في توطيد العلاقات الجزائرية التونسية :

دخلت العلاقات الاجتماعية بين الجزائر وتونس في الدم وهذا ما ... الصلة والروابط أكثر فاعلية بالأخص عند سكان الحدود فتجد أن الباي التونسي علي باشا وابنه يونس فتدخل في علاقة مصاهرة تربطه مع قبيلة الحنانشة والنمامشة فالأول تزوج وهو الى طريقه إلى الجزائر مع ابنة الشيخ سلطان والثاني تزوج حفيدة شيخ الحنانشة فهذا ما متن في تقارب سكان الحدود أكثر فأكثر، وأيضا نجد تجسيد هذه العلاقة بين الايالتين بفضل الترابط والتحالف الذي كان يحدث بين قبائل الحدود وأفضل مثال على ذلك هو تحالف قبيلة الدوايدية التونسية مع القبائل الصحراوية بتقرت من اجل تقديم المساعدة لعلي التونسي الذي ثار ضد عمه حسين بن علي، فذكر مارسي أن كل النمامشة والحنانشة والحراكتة وأولاد سيدي يحيى بن طالب يعودون لقبيلتي نفراوة وهوارة، كما ذكر شارل فيرو ان هذه القبائل كانوا مع مجموعة من القبائل الجزائرية والتونسية يشكلون حاف الحنانشة الواحد، ولعبت الهجرة دورا كبيرا في امتزاج الشعوب بين البلدين خاصة أهل تونس الذين تزوجوا عدة قبائل من أهل وادي سوف، ومنها أولاد احمد سيدي محمد الجديدي القيرواني الأصل فانضم بعد ذلك إلى قبيلة عميرة السوفية حيث تزوج ابنتهم، ضف إلى ذلك نجد بعض القبائل المنتشرة بين البلدين كأولاد يعقوب وأولاد مومن واولاد رضوان وبني سليم وشتانة وبهذا ذكرت الاستاذة كوثر العايب في مذكرتها العلاقات الجزائرية التونسية أن بعض القبائل كانت عبارة عن نسيج يمزج بين خيوط الترابط الى تقارب قوي الصلة بينهم. أولاد : هي من العائلات التي تعود أصولها إلى الاتحاد الكائن بين مجتمع المنطقتين "الجزائر وتونس"، وذلك راجع إلى امتزاجهم مع أهل سوف عند قدوم جدهم ودخوله الوادي ونزل عند أولاد يوسف فتزوج بامرأة يقال لها مسعودة فانضم اليهم بها [1]

أولاد حداد : وهم من أولاد عبيدي واصله من سيدي عبيد القاطنين حوالي نفطة وقد انتسب بلقاسم الحداد للسوفية اثر زواجه بمسعودة بنت سيدي مسطور

الأميهات : وهم الذين اتو الى واد سوف ونسبهم يرجع إلى اميهة قرب نفوسة بقابس ولهذه العميرة السوفية فصائل أصلية مكونة من خمس ملحقات منها : أولاد ميداي من أشراف البهيمة (حساني عبد الكريم الآن) الذين أصلهم من نفطة[2] .

[1] كحلي زبيدة ، لزعر كنزة ، العلاقات الجزائرية التونسية والمغربية من القرن 17 الى القرن 19 –(1671-1848)

[2] نفسه، ص96.

ب-دور الهجرة في توطيد العلاقات التونسية الجزائرية

نلاحظ أن الهجرة لم تكن من الأحداث الاجتماعية البارزة التي لم تفرض وتملي علينا نفسها من خلال إطار دراستنا بكونها حدث معلمي له تأثيراته الجلية على الوضع في البلدين، خاصة أثناء فترة الاحتلال الفرنسي، وبالرغم من هذا فإنها تواجدت حركة بين القبائل والأسر والافراد وذلك من خلال تنقلاتهم بين تونس والجزائر، والتي نجد لها نموذج في هجرة بعض الفئات العمالية الجزائرية نحو تونس كهجرة بعض الافراد من مدن جزائرية عديدة؛ كمستغانم وقسنطينة ووهران وزواوة وتلمسان وبني ميزاب، ويعتبر بني ميزاب من أكثر المهاجرين الجزائريين نحو تونس خاصة من قرى غرداية والقرارة، وقد دفعت هؤلاء للفرار من وطنهم من خلال الاوضاع المزرية نتيجة الاحتلال الفرنسي والمعيشة.[1]

وبالتالي فقد هاجروا إلى تونس وجربة واستقروا بها واشتغلوا ببعض المدن في قطاعات مختلفة كالجلد والاكساء، والأسلحة النارية وحرفة النخاسة وغيرها من الحرف، وارتفع مؤشر الهجرة فور بروز تداعيات الحكم العثماني في الجزائر وبدايات الاحتلال الفرنسي، وتصبح ظاهرة اجتماعية لها ميزاتها الخاصة، ويرى البعض أنها بدأت قبيل سقوط الحكم العثماني بالجزائر وبالضبط منذ بداية الحملات **كحملة اللورد إكسماوث 1816م**، التي انكسرت فيها أسطورة الجيش الجزائري الذي لا يهزم، وبروز بعض من المؤشرات السلبية في الجهاز العسكري مع تفطن الشعب الجزائري بقرب عملية الانزال العسكري الفرنسي بالجزائر، لذا شرعت مجموعة من الأسر في الاستعداد للرحيل، ومع مجيء الاحتلال الفرنسي ووطأ أقدامه فور وصول هذا المستعمر الذي سلبهم، واستنزف منهم كافة موارد رزقهم.[2]

وبعجز المقاومات المسلحة في التصدي للاحتلال، وأمام عجز الكثير من الأهالي والاستمرار في التكيف والاستقرار مع هذه الأوضاع التي هجمت على بلادهم، فكانت تونس هي السبيل لهم للنجاة من هذا المأزق، وقد تميزت الكاف باستقطاب أعداد كبيرة من المهاجرين الجزائريين، ويعود هذا إلى عدة أسباب نذكر منها:

. القرب الجغرافي للجهة الشرقية من الجزائر؛ لذا كانت من أقرب المقاصد إليهم خاصة في ظل وجود علاقات تاريخية سابقة للفترة الاستعمارية.

. وحدة اللغة واللهجة بالنسبة للمهاجرين كانت سببا هاما لطرقهم باب الهجرة.

. أهمية التشابه من حيث العامل الطبيعي إضافة إلى عدم رفض السلطات التونسية المهاجرين، ومع وجود طرق دينية كانت تستمد جذورها من أصول جزائرية.

[1] حمادي الساحلي، فصول في التاريخ والحضارة، ط1، دار الغرب الاسلامي، لبنان، 1992م، ص57 .

[2] حمادي الساحلي، مرجع سابق، ص57.

وعليه فهذه الأسباب والعوامل المتوافرة التي وفرت الإطار الملائم لضمان عيش المهاجرين واستقطابهم خاصة أن الزراعة كانت هي ركيزة الاقتصاد بتونس، وكانت لا تزال اعتمد على المجهود البشري.

وكانت من نتائج وانعكاسات هذه العلاقة؛ وجود تشابه وتجانس كبير بين سكان تونس والجزائر في مختلف العادات والتقاليد خاصة بين سكان الإقليم الشرقي وتونس وذلك للاعتبارات التالية:

. القرب الجغرافي بين الايالتين.

. انفتاح حدود الايالتين مع بعضهما البعض

. بالرغم من المعاهدات المبرمة إلا أنها لم تقف كحاجر أمام تنقل السكان إليها.[1]

. إضافة إلى الزيارات العلمية والرحلات والهجرات المتبادلة فيما بينهم.

. دور المبادلات التجارية في تقريب الشعبين.

فهذه الاعتبارات وغيرها هي التي ولدت الاحتكاك الايجابي بين سكان تونس والجزائر، والذي وضح لنا بدوره نماذج مشتركة من العادات والتقاليد والأعراف، وذلك من خلال مظاهر عدة توضحت لنا في المأكل وأصناف الأغذية والأطعمة، التشابه في اللباس، والتشابه في أعراف وتقاليد الزواج، زيارات أضرحة الأولياء.

المطلب الثالث: الصلات بين الطرق الصوفية في الجزائر وتونس

انتشرت الطرق الصوفية في بلاد المغرب الإسلامي منذ القرن الخامس الهجري، نتيجة الاتصال بالمشرق عن طريق الرحلات العلمية والحج، والتتلمذ على يد أعلام التصوف، وانتشار المؤلفات الصوفية كالرسالة القشيرية، وإحياء علوم الدين للإمام الغزالي، فظهرت في بلاد المغرب عدة طرق صوفية، انبثقت عن طريقتين رئيستين هما الطريقة القادرية والطريقة الشاذلية، وقد تنوع نشاط هذه الطرق فقامت بأدوار متنوعة من خلال نشاط شيوخها وزواياها المتواجدة في مختلف المناطق، حيث ساهمت بدور فاعل في التواصل بين تونس والجزائر في الفترة الحديثة والمعاصرة خاصة.[2]

وجدت طرق كثيرة والتي كانت نشيطة في إيالة الجزائر، وكان أصلها من إيالة تونس والعكس صحيح، حيث كانت الزيارات والصلات المتبادلة تلعب دور كبير في انتشارها، لان الأصول والاهتمامات

[1] أحميدة عميراوي: علاقات بايلك الشرق الجزائري بتونس أواخر العهد العثماني وبدايات الاحتلال الفرنسي، دط، دت، دار البعث، الجزائر، ص49.

[2] محمد حلوان، مرجع سابق، 227-228.

واحدة، ومن الطرق التي نشأت في تونس وأصبح فروع لها في الجزائر يأتي الحديث عن الشاذلية والشابية، أما الطريقة الأشهر في كل منهما الطريقة الشاذلية.

ومن إيالة تونس أيضا دخلت البوعلية والسلامية إلى الجزائر، وتبقى الطريقة الرحمانية، وإن كانت تظهر أنها جزائرية؛ فإنها في أصلها ترجع إلى الطريقة الخلوتية مثلها مثل التجانية التي تبدو وهي الأخرى جزائرية خالصة الظهور بها لأسباب مختلفة. وأخر الطرق المهمة في عملية التواصل الروحي بين الجزائر وتونس هي الطريقة السنوسية[1]، ومن اشهر الطرق الصوفية التي برزت وكانت لها فرق في الايالتين هي:

. الطريق الشابية: قديمة النشأة أسسها بالقيروان أحمد بن مخلوف وقد ذكر أن أتباع هذه الطريقة قاوموا الأتراك العثمانيين؛ فشردوهم في البلاد، ومنهم من انتقل إلى شرق الجزائر كعنابة وخنشلة وسوق أهراس.

. الطريقة الرحمانية: مؤسس هذه الطريقة محمد بن عبد الرحمن الازهري الراجح انه ولد سنة 1715، وتوفي سنة 1793م، سمي بالأزهر نسبة إلى الأزهر الشريف الذي مكث فيه لمدة طويلة، نشأ ببلاد زواوة التي اشتهرت في تلك الفترة بالعلم والفقه، كان قد جلب الطريقة الخلوتية من الشرق الجزائري وطورها فنسب إليه، اعتبرت أوسع الطرق انتشارا في الجزائر، ومن أشهر زواياها: زاوية الهامل ببوسعادة، زاوية الحملاوي في قسنطينة، وزاوية سيدي ناجي ببسكرة، عمل على نشر الطريقة الرحمانية محمد بن عبد الرحمن القشتولي الجرجري، من قبيلة آيت إسماعيل بالجرجرة المدعو عبد الرحمن بوقبرين، ومعظم أبنائها ينتمون إلى منطقة القبائل ويقيمون في تونس وكانت لها فروع في الجنوب التونسي[2].

الطريقة البوعلية: نسبة إلى البوعلي المتوفي في القرن الرابع الهجري، أصله من نفطة في تونس، كان لها أتباع من الشرق الجزائري، وزاوية في خنشلة، وحسب بعض المؤرخين الفرنسيين فإنها كانت تعتمد على الرقص والشعوذة.

الطريقة الحنصالية: مؤسسها سعيد بن يوسف الحنصالي من مواليد القرن السابع عشر الميلادي، والمتوفى سنة 1702م، يعود أصل مؤسسها إلى قبيلة بني ميتر بفاس، انتشرت الطريقة الحنصالية في الأواسط الجزائرية إلى درجة وصول أفكارها إلى شرق الإيالة بقسنطينة، وكان اصحابها

[1] حمام صورية، مرجع سابق،ص129-130

[2] حمام صورية، مرجع سابق،ص129-130.

على اتصال دائم مع زاوية الكاف بإيالة تونس، ولعل ما يدل على أنها غزت شرق الإيالة هو وجود نفس زوايا تابعة لها بقسنطينة وحدها، وهذا ما سمح بانتشارها في إيالة تونس.[1]

الطريقة التجانية: عرفت الطريقة التجانية انتشارا بفضل القوافل التجارية التي اتخذها التجاني وأتباعه وسيلة لنشر طريقتهم، فكانت قوافلهم التي تجوب الصحاري من الشمال إلى الجنوب، ومن الشرق إلى الغرب، مرورا بتوات إلى تنبكتو؛ ومنها إلى السنغال ذهابا وإيابا تحمل البضائع، وفي نفس الوقت تبث الدعوة بين سكان تلك المناطق وتنظيم أمور المريدين، وتسهل عليهم الدخول في الطريقة وأداء تعاليمها بما كان يوفره الشيخ التيجاني وأتباعه المقدمين من شروط روحية ومادية وأمنية تستقطب الجماهير نحو دعوته وتزكيتها، وفي مدة قصيرة انتشرت التيجانية بين معظم سكان توات وتثبت جذورها في عدة مناطق من إقليم تميمون، ومازال أفرادها يشرفون علة نشر التجانية كمقدمين لها، ومنهم مشايخ يتولون تدريس العلوم الدينية وتلقين تعاليم التجانية.[2]

الطريقة السنوسية: تنتسب هذه الطريقة لمؤسسها الإمام الصالح محمد بن علي السنوسي الخطابي الحسني الإدريسي المجاهري، ولد في 12 ربيع الاول 1202هـ/ 22 ديسمبر 1787م، ببلدة يلل، القريبة من غليزان والمعروفة بنواحي مستغانم، وسبب اشتهار هذا البيت الكريم بالسنوسي يعود إلى جدهم الذي لقب نفسه بذلك تبركا الشيخ الإمام محمد بن يوسف السنوسي صاحب التآليف المشهورة، عالم تلمسان المشهور، حفظ الشيخ السنوسي القران الكريم وتلقى دراسته الأولى في معسكر ومازونة وتلمسان، ثم رحل إلى مدينة فاس التي كان بها جامع القرويين يعج بكبار العماء، فدرس به العلوم الشرعية، واللغة العربية، والمذاهب الاسلامية، والفلسفة، والمنطق وعلم الفلك وغيرها من العلوم والفنون، وبقي بها سبع سنوات من 1822-1829م، وبعدها غادر الامام السنوسي مدينة فاس عائدا إلى الجزائر، حيث شرع في التجوال في أنحاء الصحراء متوقفا في العديد من المدن كالأغواط والجلفة ثم اتجه غلى الحجاز مرورا بتونس في القيروان، ثم طرابلس، فبرقة ثم القاهرة، وأسس الشيخ السنوسي أول زاوية في جبل سنة 1837م، ثم جاء ليستقر بالجبل الأبيض بطرابلس والذي أنشأ به زاوية عرفت بالزاوية البيضاء، وبفعل مقايضات الدول الاوربية للطريقة السنوسية اضطر من أن ينقل مقر زاويته إلى واحة الجنوب التي أنشأ بها اكبر زاوية سنة 1856م، وبهذا انتشرت دعوته وعمت كاملا، ثم أسس معهد العلوم الإسلامية على غرار الأزهر بمصر، والقرويين بفاس، والزيتونة بتونس.[3]

---

[1] نفسه، ص131.

[2] نفسه، ص131-132.

[3] محمد حلوان، مرجع سابق، ص232.

خاتمة الفصل :

. اختلاف مواقف الحملة الفرنسية على الجزائر 1830، فبينما وقف بايات تونس مؤيدين للحملة، وذلك راجع من تخوف باي تونس من ان تمتد سلطة الداي الجزائري إلى إيالة تونس، وان يزعزع مكانته عند الدولة العثمانية، ورغم ذلك فإن الموقف الشعبي في تونس مختلف كل الاختلاف عن الموقف الذي اتخذته السلطة من الحملة التي قدمت التأييد المطلق لها.

. علاقات اقتصادية وتبادل تجاري نشط بين الجزائر وتونس

. وجود مبادلات تجارية تحكمت فيها القبائل الكبرى، كما تم إدراك أن التبادل التجاري بين تونس والجزائر كان يتم عبر طرق برية.

. دور القبائل القاطنة في الحدود، تارة في توطيد العلاقات مثل وجود مصاهرات فيما بينهما، وتارة أخرى تسببها في نزاعات وصراعات.

. استخلاص دور الطرق الصوفية في تمتين الروابط بين الشعبين، وانتشار بعض فروعها في تونس والجزائر.

خاتمة

من خلال دراستنا هذه التي تعرضنا فيها إلى موضوع العلاقات الجزائرية المغاربية 1830-1850 تونس والمغرب أنموذجا والتي اطلعنا فيها بشكل معمق على أهم التطورات التي ميزت العلاقات بين الجزائر والمغرب وتونس منذ الاحتلال الفرنسي للجزائر، حيث حدثت عدة تغيرات من أبرزها:

-أن الجزائر عرفت تغيرات مستمرة في أنظمة الحكم، أما من الناحية الاقتصادية فقد اعتمدت على الزراعة والصناعة التقليدية، ومن الناحية الثقافية فقد اهتمت بعلوم القرآن.

-بالنسبة للمغرب الأقصى من الناحية السياسية شهد صراع على الملك بين الأبناء والأحفاد.

-أما فيما يخص العلاقات السياسية بين المغرب الأقصى والجزائر فقد امتازت بالمودة والمساعدة من قبل سلطان المغرب عبد الرحمان، كما شابها التوتر بسبب اعتماد السلطات الفرنسية على سياسة فرق تسد التي سعت إلى زرع الفتنة بين الشعبين الأخوين.

-التفاف مغربي كبير من قبل السلطان عبد الرحمن والدليل على ذلك هو الدعم المقدم للمقاومة الأمير عبد القادر سواءا دعم معنوي ومادي.

-تبادل البعثات الدبلوماسية ورسائل الود والمحبة بين السلطان المغربي والزعيم الجزائري لمد أواصر المحبة بين الشقيقين العربيين.

-نجاح فرنسا في تحقيق استراتيجيتها المعتمدة للإيقاع بين الزعيمين العربيين وفعلا نجحت في احداث الشرخ في العلاقة بين البلدين ما أدى في الأخير الى قطع العلاقات الجزائرية المغربية.

-أما من ناحية العلاقات الاقتصادية واصلت علاقة الترابط من خلال التبادل التجاري بين البلدين رغم الصعوبات التي تعرضت لها القبائل المغربية والجزائرية أثناء اجتيازها للمسالك البرية منها والبحرية.

-رغم توقيع معاهدة تحديد الحدود من طرف السلطان عبد الرحمن وضغط المخزن على القبائل المغربية بقطع العلاقات الاقتصادية مع الجزائريين الا ان هذه الأخيرة لم تخضع لهذه الأوامر ووصلت تعاملاتها التجارية الجزائرية.

-انتهاج سياسة تهريب البضائع بين البلدين لتفادي الضغط الفرنسي، وما ساعد في انجاحها هو تعدد المسالك والطرق التجارية واتساع الرقعة الجغرافية للبلدين.

-قرب البلدين من الناحية الحدودية سهل من عملية المبادلات التجارية في شتئ المواد.

- شهدت العلاقات الاجتماعية والثقافية بين المغرب الاقصى والجزائر حالة الاستقرار والتوافق العلمي والاجتماعي قبل وبعد التواجد الاستعماري في كلتا البلدين.

-شهدت المغرب هجرة كبيرة للجزائريين نحوها بسبب سياسة فرنسا الرامية للقضاء علا الاسر الجزائرية ونهب ممتلكاتهم والقضاء على الكيان الجزائري.

-انصهار المجتمعين المغربي والجزائري لينتج عنه مزيج ثقافي واجتماعي حال دون سعي فرنسا علا الإيقاع بين الشعبين لقطع الترابط الاجتماعي بينهم.

-اعتلاء الكثير من الفقهاء والمفكرين لمناصب عليا في المغرب الأقصى أمثال محمد المقري كوزير للمالية.

-بالنسبة لتونس نشهد اختلاف في مواقفها من الحملة الفرنسية على الجزائر 1830م، فبينما أيد بايات تونس هذه الحملة وذلك راجع لتخوف باي تونس من أن تمتد سلطة الداي الجزائري إلى إيالة تونس، وأن تزعزع مكانته عند الدولة العثمانية.

-رغم ذلك فإن الموقف الشعبي في تونس مختلف كل الاختلاف عن الموقف الذي اتخذته السلطة من الحملة التي قدمت التأييد المطلق.

-أما العلاقات الاقتصادية فقد كان التبادل التجاري نشط بين الجزائر وتونس وذلك بوجود مبادلات تجارية تحكمت فيها القبائل الكبرى عن طريق القوافل المحملة بالسلع بشتى أنواعها حيث ساهمت حركة هاته القوافل التجارية في تفعيل علاقات حسن الجوار بين البلدين وشكلت بذلك قوة اقتصادية دفعت إلى بناء جسور تجارية والطرق المخصصة للتجارة بين تونس والجزائر.

-تنوع صادرات وواردات البلدين يكشف مدى الزخم الاقتصادي لدى الشعبين.

-كان للقبائل القاطنة في الحدود التونسية الجزائرية دورا في التأثير على العلاقات الاجتماعية خاصة مسألة المصاهرة التي تسببت تارة في توطيد العلاقات وتارة أخرى في النزاعات والصراعات.

- تعتبر الطرق الصوفية من بين اهم المحطات التي بنيت عليها العلاقات الجزائرية التونسية باعتبارها همزة وصل تبادل البلدان من خلالها ثقافاتهم وعلومهم.

ملاحق

الملحق01: صورة معركة اسلي

معركة إسلي بين المغرب وفرنسا من أجل الشقيقة الجزائر

هي معركة قامت بين المغرب وفرنسا في 14 أغسطس 1844 م بسبب مساعدة السلطان المغربي أبو الفضل عبد الرحمن بن هشام للمقاومة الجزائرية ضد فرنسا واحتضانه للأمير عبد القادر الشيء الذي دفع الفرنسيين إلى مهاجمة المغرب عن طريق ضرب ميناء طنجة حيث أسقطت ما يزيد عن 155 قتيل ثم ميناء تطوان ثم ميناء أصيلة. انتهت المعركة بانتصار الفرنسيين وفرضهم شروطا قاسية على المغرب.
تمثلت هذه الشروط في اقتطاع فرنسا لبعض الأراضي المغربية وفرضها غرامة مالية على المغرب ومنعها المغاربة من تقديم الدعم للجزائر.

المصدر: https://www.google.com/search?q=

الملحق 02: رسالة من السلطان المغربي عبدالرحمن إلى ابنه بخصوص مساعدة الأمير عبد القادر

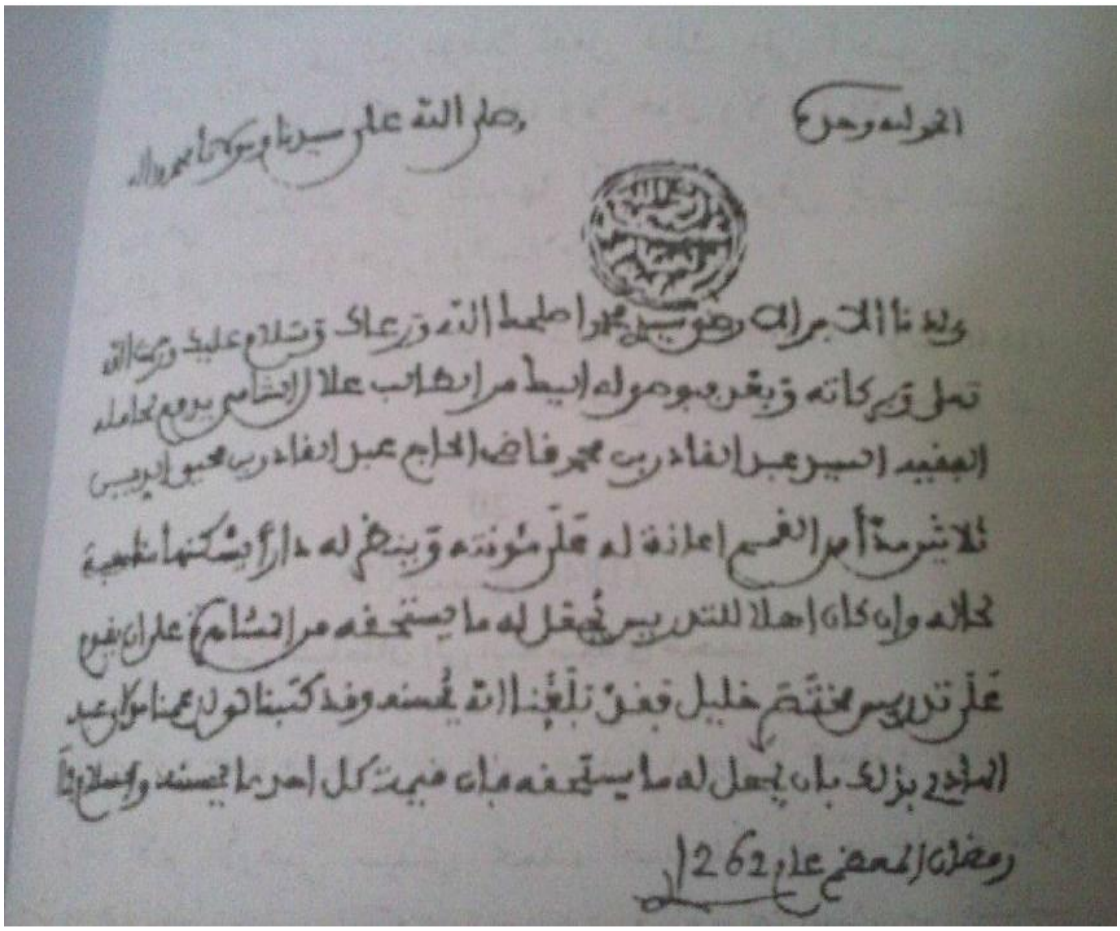

المصدر: إسماعيل حامت، الحكومة المغربية واستقلال الجزائر، مرجع سابق، ص 136

الملحق03:خريطة تمثل الحدود المغربية الجزائرية.

المصدر: https://www.benisnassen.com/histoire/isly/isly.htm

الملحق 04: خريطة تمثل أهم الطرق الرابطة بين أسواق الشرق الجزائري وأسواق المغرب.

المصدر: محمد العربي الزبيري، مقاومة الجنوب للإحتلال الفرنسي للجزائر، المرجع السابق،ص 17

الملحق05: أهم الطرق الرابطة بين الشرق الجزائري والاسواق التونسية

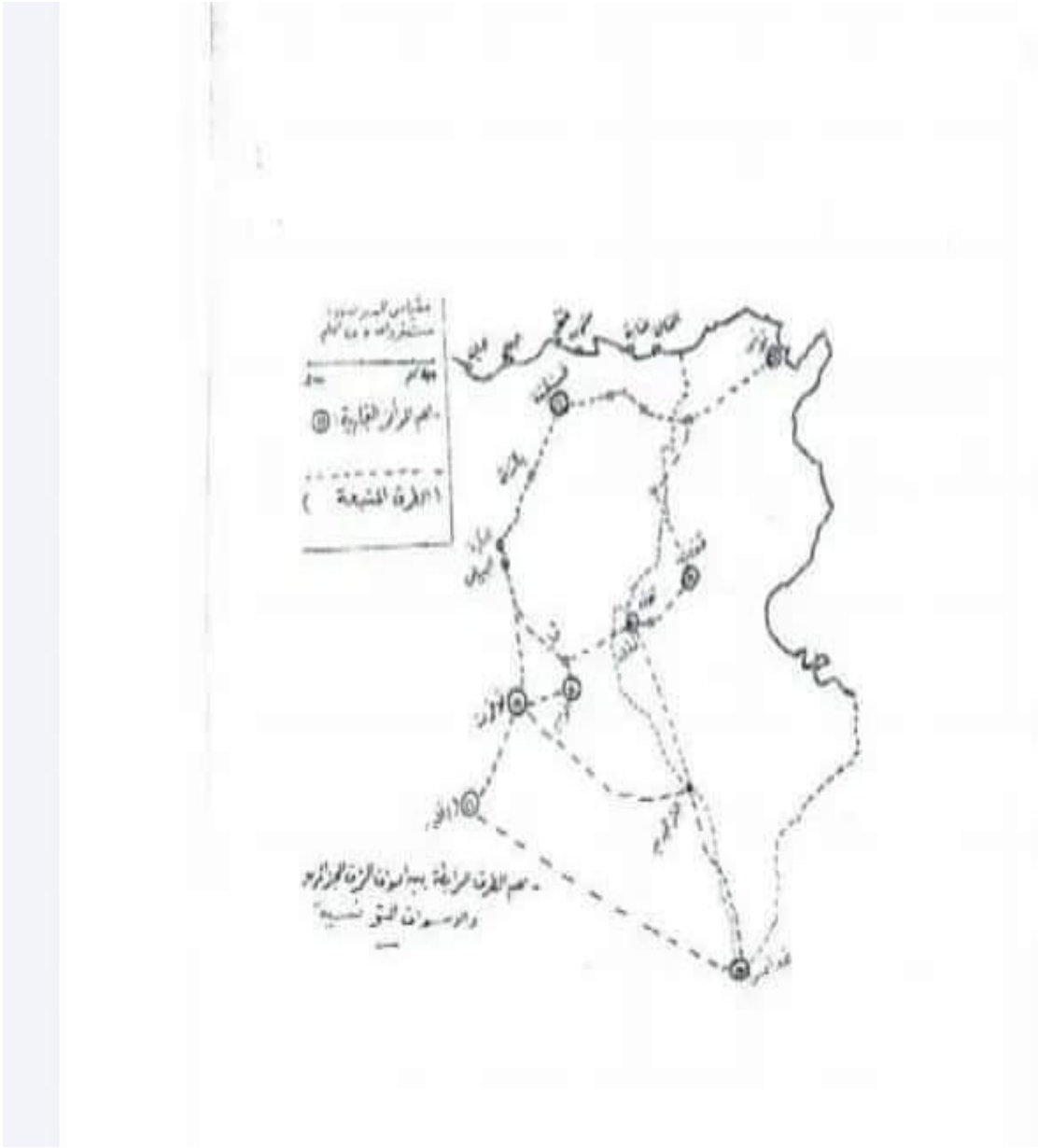

المصدر: محمد العربي الزبيري، تجارة الشرق، التجارة الخارجية للشرق الجزائري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ص140.

الملحق 06: أماكن تموضع بعض القبائل الحدودية في الإيالتين الجزائرية التونسية

المصدر: محمد العربي الزبيري، التجارة الخارجية للشرق الجزائري، مرجع سابق، الجزائر، ص141.

قائمة المصادر والمراجع

-المصادر باللغة العربية:

1 - ابن خلدون عبد الرحمن ، تاريخ ابن خلدون (العبر ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب البربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر)،ج6، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، 2000،

2- ابن زيدان عبد الرحمان ، إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس (1290هـ - 1365هـ)،ج، ط1، تحقيق: علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2008،

3 -بيربر وجير أدريان، مع الأمير عبد القادر" رحلة وفد فرنسي لمقابلة الأمير في البويرة (1837-1838)، ترجمة: أبو القاسم سعد الله، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م، الجزائر، 2005.

4 -بن تهامي مصطفى ، سيرة الأمير عبد القادر وجهاده ،ترجمة يحي بوعزيز، دار البصائر للتوزيع والنشر، الجزائر، 2009 .

5-بن عبد القادر محمد ، تحفة الزائر في مأساة الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر، ج1،المطبعة التجارية الإسكندرية، 1903.

- تشرشل شارل هنري، حياة الأمير عبد القادر، ترجمة: أبو القاسم سعد الله، الدرار التونسية للنشر، تونس،1964م.

6- حمدان بن عثمان خوجة ، المرآة، تق وتع وتح: محمد العربي الزبيري، طبع المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية. الجزائر، 2006م.

7-- حامت إسماعيل ، الحكومة المغربية واستقلال الجزائر، تقديم: علي تابليت، ترجمة: زكي مبارك، ،الجزائر، 2012

8- التمكروني علي بن محمد ، النفحة المسكية في السفارة التركية 1589م، تحقيق: محمد الصالحي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، المغرب، 2007، ط1.

9- الزركلي خير الدين ،الأعلام (قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1986،ج6.

10-الزهار أحمد شريف: مذكرات نقيب أشراف الجزائر (1754-130م)، تق وتح: أحمد التوفيق المدني، دط، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974م.

11- السنوسي محمد ، الرحلة الحجازية، تحقيق : علي الشنوفي، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1978، ج1 .

12- الشقراني أحمد بن عبد الله، القول الأوسط في أخبار بعض من حل بالمغرب الأوسط ، تقديم:ناصر الدين سعيدوني، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1991م، ط1.

13- الناصري أبو العباس أحمد بن خالد ، الاستسقاء لأخبار دول المغرب الأقصى، ترجمة وتعريب: جعفر الناصري، محمد الناصري، دار الكتاب العلمية، بيروت، لبنان، 2007.

14- الناصري أبو العباس أحمد بن خالد ، الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى الدولة العلوية، تقديم جعفر الناصري، محمد الناصري، ج7، دار الكتاب ، الدار البيضاء، 1997.

15- الوزان الحسن بن محمد ، وصف إفريقيا، ترجمة: محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب، بيروت، لبنان، 1983، ط2، ج2.

16- بروتو إيتين، الأمير عبد القادر الجزائري، ترجمة: ميشل خوري، دار عطية للنشر، بيروت، 1997م، ط01.

17. سبنسر وليام :الجزائر في عهد رياس البحر، تع: عبد القادر زبادية، الشركة الوطنية للنشر،الجزائر،1980.

18- لمرماور كربخال، إفريقيا، ترجمة: محمد حجي وآخرون، دار نشر المعرفة، الرباط، ج2، 1989/1988.

19- لوطورنو روجي، فاس قبل الحماية، ترجمة: محمد حجي، محمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1992، ج1.

المصادر باللغة الأجنبية :

1- Dupin,CH-Notice sur l'expédition qui s'est terminée par la parise d' Abdelkader, le 16 mai 1843 de la samal, vinchon imprimen des usées royaux, paris, France, 1845.

2- Elexandre Bllamare, Abdelkader sa vie politique et militaire, EB alger,

3- Enfantin, colonisation de l'algérie, P.B.L, paris,1843.

4- H.DUVEYRIER, la tunisie , paris, librairie hachette et cie, boulevard saint-germain , 1881.

5- ISMAEL HAMET -Histoire de maghreb, cours professé a l'institut des hautes études marocaines,paris éditions ernest leroux ,1923.

, 6- R-J FRISCH, Le maroc geographie, orgqnisqtion, politiaue ,paris ,ERNEST LEROUX éditeur 1895 . .

7- Simon Charles . tunis et la tunisie , legé ne et oudin Editeurs, Paris, 1887

8-Fhilippe de cossé Brissac, les rapports de la France et du Maroc pendant la conquête de l'Algérie (1830-1847), la rose, paris,1931 .

9-Guellouz,A. MASMOUDI , M.SMIDA, A.SAADAOUI , histoire générale de la tunisie, les temps modernes(941-1247h/ 1534-1881) ,T3, sud edition , tunis.

-المراجع باللغة العربية :

1- إسماعيل العربي، المقاومة الجزائرية تحت لواء الأمير عبد القادر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر، 1982.

2 -أ.ف. دينيزن، الأمير عبد القادر والعلاقات الفرنسية العربية في الجزائر، ترجمة: أبو العيد دودو، دار هومة، الجزائر، 2003

3-السيد محمود ، تاريخ دول المغرب العربي ليبيا –تونس –الجزائر–المغرب – موريتانيا ، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية،2000.

4-انينل الكسندر فنادولينا، الإمبراطورية العثمانية وعلاقاتها الدولية في ثلاثينيات وأربعينيات القرن التاسع عشر تر: أنور محمد إبراهيم)القاهرة، المجلس العلي للثقافية، 1999.

5- أباظة نزار ، الأمير عبد القادر الجزائري – ط1،العالم المجاهد -، دار الفكر، دمشق، سوريا، 1994،

6- إعداد مجموعة من الباحثين، المغيبون في تاريخ تونس الإجتماعي، تنسيق الهادي التيمومي، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، بيت الحكمة،1999.

7- الجمل شوقي عطا الله ، المغرب العربي الكبير في العصر الحديث،(ليبيا-تةنس-الجزائر-المغرب)،مكتبة الأنجلو مصرية، ط1، 1977.

8- الجميعي عبد المنعم ، الدولة العثمانية والمغرب العربي ، دار الفكر العربي للنشر والتوزيع ، ط 2007 .

9- الجيلالي عبد الرحمن ، تاريخ الجزائر العام، شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2010، ج4، ص 225.

10- الدالي الهادي مبروك ، التاريخ الحضاري لإفريقيا وراء الصحراء من نهاية القرن 15 عشر إلى بداية القرن الثامن عشر، منشورات البحوث والدراسات الإفريقية، طرابلس، ليبيا، 2001، ط2

11- الزبيري محمد العربي ، مقاومة الجنوب للإحتلال الفرنسي للجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر.

12. الزبيري محمد العربي: التجارة الخارجية للشرق الجزائري، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر، دط، دت.

13. الساحلي حمادي: فصول في التاريخ والحضارة، ط1، دار الغرب الاسلامي، لبنان، 1992م.

14- السروجي محمد محمود ، العلاقات التونسية الفرنسية من الحماية إلى الاستقلال ، المكتبة الوطنية ، بنغازي.

15- الشريف محمد الهادي ، تاريخ تونس ما يجب أن تعرف عن تاريخ تونس، تعريب محمد الشاوش- محمد عجينة، دار سراس للنشر، ط3،تونس، 1993، ص 80.

16- الصلابي محمد علي ، كفاح الشعب الجزائري ضد الاحتلال الفرنسي، دار المعرفة، بيروت

17- العسلي بسام ، الأمير عبد القادر(1807-1883)، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2010

18. العلمار محمد، الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج، دط، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر، 1993م.

19- الغديري مصطفى ، الريف قراءة في وثائق، سلسلة كتب الريف، مطبعة الجسور، المغرب، 2009

20- المغرب الأقصى "مراكش" قبل الحماية، عهد الحماية، إفلاس الحماية، مكتب المستندات والأنباء، مصر ، 1951.

21- المنصور محمد ، المغرب قبل الاستعمار- المجتمع والدولة والدينة (1792-1822)،ط1، ترجمة: محمد حبيدة، المركز العربي الثقافي، الدار البيضاء، المغرب، 2006.

22- أمطاط محمد ، الجزائريون في المغرب ما بين سنتي (1830-1962م) -مساهمة في تاريخ المغرب الكبير المعاصر-، تقديم، محمد كبيب دار أبي رقراق للنشر والتوزيع، الرباط.

23- بشار قويدر ، القوافل التجارية المغاربية (طبيعة التجار وآثارها) – طريق القوافل-، المركز الوطني للبحوث في عصور ما قبل التاريخ وعلم الإنسان والتاريخ، الجزائر

24. بلاح بشير: تاريخ الجزائر المعاصر (م. 2006، دط، الجزائر، 1، ج 198-1830)

25- بن خروف عمار ، العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية بين الجزائر والمغرب في القرن العاشر هجري والسادس عشر ميلادي،ج2، الأمل للطباعة والنشر، الجزائر، 2008.

26 - بن خوجة محمد ، صفحات من تاريخ تونس، ط1،تقديم وتحقيق حمادي الساحلي- الجيلالي بن الحاج يحيى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986.

27- بن رجب رضا ، يهود البلاط ويهود المال في تونس العثمانية (1685-1857)، تقديم عبد الحميد الأرقش، دار المدار الإسلامي، 2010، ط1.

28- بن سيفي عز الدين ، العلاقات الجزائرية المغربية (1830- 1912م)، رسالة دكتوراه في تاريخ المغرب العربي الحديث والمعاصر ،2017-2018م، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر.

29- بن سيفي عز الدين ، العلاقات الجزائرية المغربية على عهد الأمير عبد القادر الجزائري والسلطان عبد الرحمان المغربي، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية، العدد 29، 2016.

30- بوعزيز يحي ، مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1999

31- جلال يحي ، المغرب الكبير -العصور الحديثة وهجوم الاستعمار-، دار النهضة العربية، بيروت، ج3،

32- هلايلي حنيفي ، أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني ، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع ، ط1، 2008.

33- حرب أديب ، التاريخ الإداري والعسكري للأمير عبد القادر (1808-1847)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،

34. حسني عبد الوهاب: خلاصة تاريخ تونس، دط، الدار التونسية للنشر، 1983.

35-حسيني عبد الوهاب حسن ، خلاصة تاريخ تونس، دار الجنوب للنشر ، تونس،2001، ص113.

36- دحدوح عبد القادر، سكة الأمير عبد القادر الجزائري بين النصوص التاريخية والشواهد الأثرية، المركز الجامعي لتيبازة

37- زروال محمد ، العلاقات الجزائرية الفرنسية 1791-1830،مطبعة دحلب، شارع طرابلس، حسين داي، الجزائر.

38. سعد الله أبو القاسم ، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج1، دار الغرب الإسلامي: بيروت.

39- سعد الله أبو القاسم ، تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992م

40. سعد الله أبو قاسم: الحركة الوطنية الجزائرية 1830-1900م، ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992م

41. سعيدوني ناصر الدين : ورقات جزائرية، ط2، دار البصائر، الجزائر، 2009،

42 . سعيدوني ناصر الدين ، المهدي البوعبدلي،تاريخ الجزائر في العهد العثماني، دط، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1995

43- سعيدوني ناصر الدين ، المهدي بوعبدلي، الجزائر في التاريخ -العهد العثماني -، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر 1984.

44- سعيدوني ناصر الدين ، عصر الأمير عبد القادر الجزائري، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، الجزائر، 2000

45- سعيدوني ناصر الدين ، ورقات جزائرية دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر العثماني، دار الغرب الإسلامي للنشر والتوزيع، بيروت، 2000

46- سعيدوني ناصر الدين ، ولايات المغرب العثمانية الجزائر وتونس وطرابلس الغرب، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، ط2، ص101.

47. سعيدوني ناصر الدين: النظام المالي للجزائر في الفترة العثمانية 1800-1830، الجزائر، المؤسسة الوطنية للنشر، 1979م

48- سماني محفوظ ، العلاقات الخارجية (امتداد لشرعية دولة الأمير عبد القادر)، أعمال ملتقى حول الأمير عبد القادر، دار الحكمة، الجزائر، 1998

49- شويتام أرزقي، نهاية الحكم العثماني في الجزائر وعوامل إنهياره 1800-1830م، دار الكتاب العربي للنشر والتوزيع وا، 2 ،لترجمة، ط 1 ، 2011،.

50- ضيف الله شوقي ، عصر الدول والإمارات ليبيا- تونس- صقلية ،دار المعارف، القاهرة.

51- عباد صالح ، الجزائر خلال الحكم التركي 1514-1830، دار هومه ، ط 2012.

52- عكاشة برحاب ، من قضايا الحدود بين الجزائر والمغرب، دار أبي الرقراق، الرباط، 2003، ط1

53- عمورة عمار ، موجز في تاريخ الجزائر ، دار ريحانة للنشر والتوزيع ، ط1 ، 2002 .

54. عميراوي أحميدة، علاقات بايلك الشرق الجزائري بتونس أواخر العهد العثماني وبدايات الاحتلال الفرنسي، دط، دت، دار البعث، الجزائر.

55- قداش محفوظ ، جيش الأمير عبد القادر وتنظيمه وأهميته، ترجمة: حسن بن مهدي، مجلة الثقافة عدد خاص بالذكرى المئوية لوفاة الأمير عبد القادر، منشورات السهل، العدد 13، ماي-جوان 1983

56- لقبال موسى ، المغرب الإسلامي، الشركة الوطنية للطباعة والنشر، الجزائر، 1981، ط2.

57- لمرماور كربخال، إفريقيا، ترجمة: محمد حجي وآخرون، دار نشر المعرفة، الرباط، ج2، 1989/1988.

58- لوطورنو روجي، فاس قبل الحماية، ترجمة: محمد حجي، محمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1992، ج1، ص 640.

59- مناصرية يوسف ، مهمة ليون روش في الجزائر والمغرب (1832م-م1847)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1990

60. منصوري أحمد بن الطاهر: الدر الموصوف في تاريخ سوف، دار الهدى، دم ن، دت.

61- منصوري بن عوف عبد الكريم ، حوار مع الأمير عبد القادر، دار القدس العربي للنشر والتوزيع، 2012

62- مياسي إبراهيم ، الاهتمام الفرنسي بالصحراء - طريق القوافل -، المركز الوطني للبحوث في عصور ماقبل التاريخ وعلم الإنسان والتاريخ، الجزائر،2001

63- يحي بوعزيز ، ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، 1996، ص 40 .

64- يحي جلال وآخرون، مسألة الحدود المغربية الجزائرية، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1982.

65- يحي جلال، المغرب الكبير العصور الحديثة وهجوم الاستعمار، دار النهضة العربية، بيروت، 1981، ج3

66-سعد الله، أبو القاسم محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر بداية الاحتلال، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر.

67-مسعودي أحمد ، الحملة الفرنسية على الجزائر والمواقف منها . م، دط، دار الخليل، الجلفة، 2013م. 1830-1792 .

68-الأرقش دلندة ، الأرقش عبد الحميد ، بن طاهر جمال ، المغرب العربي الحديث من خلال المصادر، مركز النشر الجامعي، 2003، ص23

69-العقاد صالح ، المغرب العربي في التاريخ الحديث والمعاصر الجزائر، تونس، المغرب الأقصى، مكتبة الأنجلومصرية،ط6، 1993.

70-العيد فارس، طبيعة العلاقات الجزائرية مع المغرب الأقصى وتونس (1830م-1847م)، مجلة عصور الجديدة، العدد 20/19، خريف أكتوبر (1436هـ/1437هـ- 2015م)

71-القبلي محمد ، تاريخ المغرب تحيين وتركيب، منشورات العهد الملكي للبحث في تاريخ المغرب، ط1 ،الرباط، 2011.[1] مؤرخ مجهول، تاريخ الدولة السعدية التكمدارية، تقديم عبد الرحيم بنحادة، دار تينمل للطباعة والنشر، ط1،مراكش،

72-حركات إبراهيم ، المغرب عبر التاريخ من بداية المرينيين إلى نهاية السعديين، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، ط 1، 1978.

73-سعدون عبد العزيز ، تطوان في القرن الثامن عشر(السلطة – المجتمع- الدين)، مطبعة الخليج العربي، تطوان، 2007، ط1

74- العسلي بسام، خير الدين بربروس1470-1547، ط1 ، دار النفائس، بيروت ،1980.

75-فوزي أوصديق ، الوسيط في النظم السياسية والقانون الدستوري (دراسة مقارنة)، دار الكتاب الحديث، الجزائر، 2000

76-كريم عبد الكريم ، المغرب في عهد الدولة السعدية دراسة تحليلية أهم التطورات السياسية ومختلف المظاهر الحضارية، منشورات جمعية المؤرخين المغاربة، الرباط، المملكة المغربية، ط3، 2006.

المجلات والدوريات:

1- الشافعي درويش، الجالية الأندلسية في تونس ودورها الحضاري،، مجلة قبس للدراسات الإنسانية والاجتماعية، المجلد4، العدد 1، جوان،2020، جامعة زيان عاشور ، الجلفة.

2- برابح محمد الشيخ ، خضرة فطيمة الزهرة بن جدو الهجرة الجزائرية نحو المغرب الأقصى بعد الاحتلال ،1830 مجلة تطوير العلوم الاجتماعية، الجلفة، العدد 02، المجلد 05، 2012

3- بن خروف عمر ، ملامح من الحياة الإقتصادية في المغرب في عهد السعديين ، مجلة الدراسات التاريخية ، العدد 1.

4- بوتوقامس حفيظة، النشاط التجاري التونسي خلال العهد الحسيني1705-1830م، مجلة معارف، العدد 18، جامعة المدية، جوان 2015

5. رزيم صدام ، عبد القادر فكاير، تداول النقود التونسية في الشرق الجزائري خلال العهد العثماني 1519-1830م، الاكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، مج14، ع1، 2020م.

6- سعيدوني ناصر الدين ، الاوضاع الإقتصادية والاجتماعية والثقافية لولايات المغرب العثمانية(الجزائر-تونس-طرابلس- المغرب) من القرن السادس عشر حتى القرن التاسع عشر ميلادي، جامعة الكويت، قسم التاريخ كلية الآداب، حوليات الأدب والعلوم الاجتماعية، الحولية 31، 2010،.

7- كعوان فارس ، المصطلحات الإدارية العثمانية في الجزائر، مدارات دولية، جامعة محمد لمين دباغين، سطيف 2، المجلد 01، 2019

8- محمدي رزيقة ، الإصلاحات الإقتصادية بإيالة تونس قي عهد حمودة باشا (1782-1814م)، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية، جامعة بابل، العدد30، ديسمبر 2016،

9- مكاوي محمد ،جوانب من المقاومة الوطنية في تلمسان ونواحيها (1830- 1930م) ،مجلة الحكمة ،العدد 08، السداسي الثاني ، 2016

10-بابة عائشة ، الأوضاع السياسية في الجزائر في العهد العثماني (1519-1830)، مجلة العلوم الإنسانة والاجتماعية ، جامعة الجزائر 2 ، المجلد 8 ، العدد4، جانفي ، 2017.

11-تلي رفيق ، العلاقات الجزائرية المغربية- دراسة في موقف المغرب الأقصى من الاحتلال الفرنسي للجزائر والمقامة الجزائرية-، مجلة الذاكرة، جامعة سعيدة، سعيدة، الجزائر، مجلد 10، العدد 01، 2022.

12-شويتام أرزقي، مواقف الدول من الاحتلال الفرنسي، مجلة الدراسات التاريخية الصادرة عن معهد التاريخ، ع6، الجزائر، 1992م.

- الأطروحات والرسائل الجامعية:

1- بقبق زهرة، الأمير عبد القادر في الأسر (1849-1852)، مذكرة ماجستير في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، 2010/2009، جامعة وهران، وهران، الجزائر

2. حلوان محمد: العلاقات بين إيالة الجزائر وإيالتي تونس وليبيا 1750-1830، رسالة ماجيستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجيلالي اليابس سيدي بلعباس، 2014-2015م.

3. حمام صورية، العلاقات بين إيالتي الجزائر وتونس خلال القرن الثامن عشر، رسالة ماجيستير، جامعة وهران، 2012-2013.

4. زوبيدة كحلي، لزعر كنزة: العلاقات الجزائرية التونسية المغربية من القرن 17 الى القرن 19 (1671م-1848م) ،جامعة الجيلالي بونعامة ،خميس مليانة ،2017-2018م.

5. نواصر نصيرة ، مواقف تونس والمغرب من الاحتلال الفرنسي للجزائر 1830-1847م، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، تخصص العلاقات بين ضفتي البحر المتوسط، جامعة الجزائر ، 2010-2011م

6-رشيد حفيان، الطرق والقوافل التجارية بين الحواضر المغاربية وأثرها الحضاري في العهد العثماني خلال القرنين 11 -12 هـ/ 17-18م، مذكرة ماجستير في التاريخ، 2014/2013، جامعة قسنطينة، قسنطينة ، الجزائر

7-موسى شرف، علاقات المغرب الأقصى للدولة العثمانية وإيالاتها العربية في المشرق والمغرب (1171-1265هـ/1757-1848م)، أطروحة دكتوراه في التاريخ المعاصر، 2016/2015، جامعة الجزائر2، الجزائر

8- كله نصيرة ، المغرب الأقصى في عهد الدولة العلوية في كناب الإستقصا للناصري، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في المغرب العربي الحديث والمعاصر، جامعة أبي بكلا بلقايد تلمسان، قسم التاريخ،2019/2018.

المواقع الالكترونية:

1 - http// toorikhs .blogspot.com/ everychima. 29/5/2022.15.47 .

2 -http:// tribus algériennes Word presse. Com :2022/05/10 تاريخ الزيارة

فهرس الموضوعات

العنوان	الصفحة
مقدمة	أ - ج
مدخل: الوضع العام في الإيالات الثلاثة قبل الاحتلال	6
المبحث الأول: الوضع العام في إيالة الجزائر	8
المطلب الأول: الوضع السياسي في إيالة الجزائر	8
المطلب الثاني : الوضع الإقتصادي في إيالة الجزائر	12
المطلب الثالث: الوضع الاجتماعي والثقافي في إيالة الجزائر	14
الطلب الرابع: احتلال فرنسا للجزائر	15
المبحث الثاني: الوضع العام في المغرب الأقصى	17
المطلب الأول: الوضع السياسي في المغرب الأقصى	17
المطلب الثاني: الوضع الاقتصادي في المغرب الأقصى	21
المطلب الثالث: الوضع الاجتماعي والثقافي	23
المبحث الثالث: الوضع العام في إيالة تونس	25
المطلب الأول: الوضع السياسي في إيالة تونس	25
المطلب الثاني: الوضع الاقتصادي في إيالة تونس	28
المطلب الثالث: الوضع الاجتماعي والثقافي في إيالة تونس	31

الفصل الأول: العلاقات الجزائرية المغربية(1830-1850)	35
المبحث الأول: العلاقات السياسية بين الجزائر والمغرب الأقصى	37
المطلب الأول: دعم السلطان المغربي عبد الرحمن لمقاومة الأمير عبد القادر	37
المطلب الثاني: استراتيجية فرنسا في تراجع الدعم المغربي للجزائر	42
المطلب الثالث: تأزم العلاقات بين السلطان عبد الرحمان والأمير عبد القادر	47
المبحث الثاني: العلاقات الاقتصادية الجزائرية المغربية	56
المطلب الأول: المسالك والأسواق التجارية	56
المطلب الثاني: المبادلات التجارية بين الجزائر والمغربية	60
المطلب الثالث: مشاكل التجارة بين الجزائر والمغرب	60
المبحث الثالث: العلاقات الاجتماعية والثقافية بين الجزائر والمغرب	62
المطلب الأول: العوامل المشتركة في العلاقات الإجتماعية بين البلدين	63
المطلب الثاني: هجرة الجزائريين إلى المغرب الأقصى	63
المطلب الثالث: إسهامات السلطان المغربي في حماية المهاجرين الجزائريين.	64

الفصل الثاني: العلاقات الجزائرية التونسية(1830-1850م)	68
المبحث الأول: العلاقات السياسية "موقف تونس من الاحتلال والمقاومة	71
المطلب الأول الموقف الرسمي" موقف البايات"	71
المطلب الثاني الموقف الشعبي	71
المبحث الثاني: العلاقات الاقتصادية	72
المطلب الأول : المبادلات التجارية	72
المطلب الثاني: الأسواق التجارية	74
المطلب الثالث: العملة	76
المطلب الرابع: الطرق التجارية	79
المبحث الثالث: العلاقات الاجتماعية والثقافية	82
المطلب الأول: دور القبائل في توطيد العلاقات	84
المطلب الثاني :دور المصاهرة والهجرة في توطيد العلاقة بين سكان الجزائر وتونس	86
المطلب الثالث: الصلات بين الطرق الصوفية في الجزائر وتونس	89
خاتمة	90
ملاحق	94

قائمة المصادر والمراجع	101
فهرس الموضوعات	111

الملخص:

تميزت العلاقات بين الجزائر والمغرب الاقصى في الفترة الممتدة من 1830-1850م من ناحية الجانب السياسي أنها امتازت بالمودة والمساعدة من قبل سلطان المغرب عبد الرحمان، كما شابها التوتر من جراء ما سعت إلى تحقيقه السلطات الفرنسية في زرع جذور التفرقة والفتنة بين الشعبين الأخوين.

أما بخصوص العلاقات الجزائرية مع تونس في نفس هذه الفترة، فقد اختلفت مواقف الحملة الفرنسية على الجزائر، فبينما وقف بايات تونس مؤيدين للحملة، وذلك راجع من تخوف باي تونس من أن تمتد سلطة الداي الجزائري إلى إيالة تونس، ورغم ذلك فإن الموقف الشعبي التونسي رفض هذه الحملة و ساند الشعب الجزائري في مقاومته لهذا الاستعمار، كما كان هناك وجود مبادلات تجارية تحكمت فيها القبائل الكبرى الجزائرية والتونسية عبر طرق برية.

غير أن العلاقات الثقافية بين الأقطار الثلاث لم تتأثر بالمشاكل التي كانت قائمة بينهما فالتواصل الثقافي ظل ساري المفعول بين كل من علماء الجزائر و تونس و علماء الجزائر و المغرب الأقصى الذين كان لهم دور توحيد صفوف هاته البلدان وهذا من خلال الرحلات التي قام بها بعض العلماء.

Summary:

Relations between Algeria and Morocco were distinguished in the period from 1830-1850 from on the political side, it was characterized by affection and assistance from the Sultan of Morocco, Abd al-Rahman, and was also marred by tension as a result of what the French authorities sought to achieve in planting the roots of division and strife between the two brotherly people.

As for the Algerian relations with Tunisia during this same period, the positions of the French campaign against Algeria differed, This is due to the Bey of Tunisia's fear that the authority of the Algerian day would extend to the Eyelet of Tunis ,Despite this, the Tunisian popular position rejected this French campaign and supported the Algerian people in their resistance to this colonialism, and there were commercial exchanges in which the major Algerian and Tunisian tribes controlled via land routes.

However, the cultural relations between the three countries were not affected by the problems that existed between them. Cultural communication remained in effect between the scholars of Algeria and Tunisia and the scholars of Algeria and the Far Maghreb, who had the role of uniting the ranks of these countries and this through the trips undertaken by some scholars.